تَعْلِيقَاتٌ عَلى
تفسير الإمامِ النَّسَفِيّ
لسورة النبأ

تأليف

د/ محمد حامد حسن عطية

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

ملخص البحث

تعليقات على تفسير الإمام النسفي لسورة النبأ

د. محمد حامد حسن عطية

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – جامعة الأزهر

البريد الاليكتروني : hmohammed١٦@azhar.edu.eg

ملخص البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذا البحث بعنوان:" تعليقات علىٰ تفسير الإمام النسفي لتفسير سورة النبأ" وقد تضمن مقدمة فيها بيان أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهج البحث فيه.

ثم التعليق علىٰ تفسير الإمام النسفي لسورة النبأ بتجزئة صفحة الدراسة ثلاثة أجزاء:

الأعلى: لذكر كلام الإمام النسفي، وهو في الأصل أعلىٰ الصفحات.

الأوسط: للتعليق عليه.

الأسفل: حاشية المصادر والمراجع التي أفدت منها هذا التعليق.

ثم **الخاتمة** وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال البحث، ولعل من أبرزها :

١ – أن تفسير الإمام النسفي يتسم بدقة العبارة مع وجازة اللفظ.

٢- أن الإمام النسفي لم يكن مجرد ناقل عن غيره بل كان يتحرىٰ فيما ينقله عن غيره كالإمامين الزمخشري والبيضاوي، ويمحص ما يقرأ، ولذا كانت له اختياراته، وطريقته التي تميزه.

٣- لا تصح دعوىٰ أن تفسير الإمام النسفي اختصار لتفسير الزمخشري بالمعنىٰ التام، وإن كان تأثره به كبيرا، وفي كل من التفسيرين ما ليس في الآخر، وهناك فروق عديدة بين التفسيرين.

٤- هناك أمور يمكن استدراكها علىٰ الإمام النسفي في تفسيره.

ثم الخاتمة وفهرس المصادر والمراجع

الكلمات المفتاحية : تفسير النسفي – تعليقات – سورة النبأ

"Remarks on Imam Al-Nasafi's Tafseer of Surat Al-Nabaa

Name : Dr. Mohammed Hamed Hassan Attia

Emaile : hmohammed١٦@azhar.edu.eg

Professor of Interpretation and The Sciences of the Qur'an

At the Faculty of Religion and Advocacy in Mansoura, At Al-Azhar University

Abstract:

Praise be to Allah, May Peace and blessings of Allah be upon His Prophet, his good and pure family and his noble companions. So ….

This study is entitled "Remarks on Imam Al-Nasafi's Tafseer of Surat Al-Nabaa" includes an introduction showing the importance of this topic and the reason for choosing it as well as the methodology adopted therein.

Then I divided my study into three divisions:

First: about Imam's Tafseer.

Second: our remarks on his Tafseer

Third: about references of such remark

Then at the conclusion I stated the most significant results found through the study which included:

Imam Al-Nasafi was not just narrator of the Tafseer such as Al-Zamakhshari without examination and choosing the true narration, but he had his own selection and methodology which distinguished him from others.

Imam Al-Nasafi's Tafseer is characterized by accuracy of meanings with brief language.

The allegation that Imam Al-Nasafi's Tafseer is just a brief and summary of Al-Zamakhshari's Tafseer is not correct exactly despite its great influence.

There are some matters in Imam Al-Nasafi's Tafseer can be reviewed and corrected.

Finally, I stated the references of the study.

Keywords: Al-Nassifi's Interpretation - Comments - Surat al-Naba

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أمَّا بعد: فقد منَّ الله علينا بهذا القرآن العظيم الذي لا ينضب معينه، ولا يُدرك غوره، ولا تنقضي عجائبه، ولا يتوقف عطاؤه، ولا يشبع منه العلماء، وإنما يأخذ كلٌّ منه بحسب ما فُتح له من كنوزه وجواهره؛ فلا غرو أن كثرت التفاسير القيمة، وتعددت الكتب النافعة التي تتعلق بدراسة هذا الكتاب العزيز، ومن بين هذه التفاسير القيمة تفسيرُ الإمامِ الجليل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي [المتوفى سنة٧١٠هـ] – الموسومُ بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" وترجع أهمية الكتاب إلى عدة أسباب من أبرزها:

١- مكانة صاحب هذا التفسير وتمكنه العلمي ويكفيك أن تعلم أن الحافظ ابن حجر العسقلاني حين ترجم له لقبه بـ "علَّامة الدنيا"[(١)].

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني (٣/ ١٧) – مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد/ الهند – الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

انظر – وفقك الله – إلى هذا الكلام الذي صدر من حافظ زمانه الحافظ ابن حجر وقارنه بما قاله د/ حسن حنفي في حق الإمام النسفي وتفسيره حيث جعله أول تفسير في قسم التفسير التجميعي ووصف هذا القسم بأنه تفسير حرفي أو مهني من مفسر يريد أن يكتب تفسيرًا وليس لديه شيء يقوله، لا هدف ولا غرض ولا

٢- تميز هذا التفسير بغزارة مادته العلمية ووجازة ألفاظه إلى حد كبير بحيث يصدق عليه ما وصفه به صاحبه:" ليس بالطويل المُملِّ ولا بالقصير المُخِل"(١).

٣- حرصه البالغ على أن يَسْلم تفسيره مما وقع فيه الإمام الزمخشري من اعتزاليات، وأن يزينه بأقاويل أهل السنة ولذا جاء تفسيره كما عبَّر صاحبه: "حاليًا بأقاويل أهل السنة والجماعة خاليًا عن أباطيل أهل البدع والضلالة"(٢).

ومع مكانة هذا التفسير إلا أنَّه لا يزال بحاجة إلى تعليقٍ في كثير من المواضع تعليقا يكشف عن مراده، ويجلي غامضه، ويبرز مواضع الاختلاف بينه وبين من أفاد منهم بكثرة كالزمخشري والبيضاوي، ويتعقبه

قصد ... هو تفسير يقول الكل، ولا شيء" [من النقل إلى العقل (٤/ ٢/ ١٩١) - الهيئة المصرية للكتاب٢٠١٦م].

ومما لا شك فيه أن كلام الدكتور حسن حنفي عن هذا التفسير إجحاف بحق هذا الإمام وتفسيره، وليس هذا بمستغرب ممن يتنكر للتراث ويدعو إلى التجديد المزعوم الذي لا يتحقق عندهم إلا بهدم التراث جملة وتفصيلا وإلا فإننا لو سلمنا له جدلا أنَّ تفسير النسفي تفسير تجميعي فهل يسلم له أيضا أن تفسير التحرير والتنوير تفسير تجميعي أيضا - كما زعم - إذ وضعه في هذا القسم أيضا، ولم يره خارجا عن هذا الإطار؟!، ومن قرأ تفسير ابن عاشور بإنصاف لم يخالجه أدنى شك في أنه كما وسمه صاحبه:" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد"، وليس بخافٍ أن تقديرنا لكتب التراث لا يعني تقديسنا لكلامهم أو ادعائنا العصمة لهم.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي(١/ ٢٤). دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي(١/ ٢٤) .

فيما يحتاج إلى ذلك ومن أهداف التأليف كما بيَّن العلماء "وجود شيء مغلق يشرحه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه"(١).

والإفادة كما تكون بالتأليف الجديد تكون بالتعليق المفيد على التفسير الرشيد و"رُبَّ حاشية على مسألة واحدة بكتاب في ميزان العلم، ورُبَّ هامش واحد في تحقيق كتاب أنفع من كتاب"(٢).

ولما كانت الجهود المبذولة في التعليق على تفسير الإمام النسفي، والقيام بحقه محدودة وبحاجة إلى تتميم (٣)، رغبت في أن يكون لي نصيب – ولو كان يسيرا – من خدمة ما تيسر لي من هذا السفر الجليل بتعليق يحقق الفائدة المرجوة منه دون تطويل، أو إخلال فكان هذا البحث:

"تعليقات على تفسير الإمام النسفيِّ سورةَ النبأ"

(١) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١/ ٣٨) – مكتبة المثنى – بغداد.

(٢) قالها أ. د/ محمود توفيق محمد سعد عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف في كتابه [في نقد العقل البلاغي هامش (١) صـ ١٤٧ – مكتبة إحياء التراث الإسلامي بمشيخة الأزهر الشريف].

(٣) أبرز هذه الجهود حاشية الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي ت١٣٣٣ هـ على هذا التفسير وتسمى بـ "الإكليل على مدارك التنزيل"، وهي تقييدات لطيفة علق فيها على كثير من كلام الإمام النسفي تعليقا موجزا، وأغفل التعليق على بعض كلامه، فترك المجال لغيره، وهناك جهود بذلها بعض الأساتذة بجامعة الأزهر في التعليق على تفسير الإمام النسفي لأجزاء من القرآن تيسيرا على طلاب الثانوية بالأزهر كتيسير النسفي لـ أ.د موسى شاهين لاشين، وإيضاحات ومعاني على تفسير النسفي لـ أ.د عبد العال أحمد عبد العال، وهناك تعليقات لبعض الأساتذة على تفسير بعض السور كتعليقات العلامة أ.د إبراهيم خليفة على تفسير بعض آيات سورة النور، وتعليقات أ.د رضا عبد المجيد على تفسير سورة الزمر.

ويقفك على أهمية التعليق على هذا التفسير زيادة على ما تقدم من أهمية هذا التفسير ومكانة صاحبه

١- إفادته الكثيرة والمتنوعة من تفسير الكشاف للإمام الزمخشري وقد قال العلامة الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى:" الزمخشري كان شديد الذكاء، ولهذا كان يطوي المعنى الكثير في اللفظ القليل "[(١)] وهذا يعني أنه يوجد أيضا عند النسفي كثير من ذلك المعنى المطوي في لفظه.

٢- ظن كثير من الباحثين أنه لا جهد للنسفي سوى الاختصار، وتركِ اعتزاليات الزمخشري، وتجنبِ ما أورده الزمخشري ثم البيضاوي من الأحاديث الموضوعة في فضائل السور[(٢)].

والحق أن هذا الذي ذكروه – وإن كان لا ينبغي أن يغض من قيمة تفسيره لمن علم قدر الاختصار المجود والتمحيص والتنقية لا سيما في الاعتقاد – لم ينصف الإمام النسفي ولم يوفه حقه ؛ ذلك أن له جهدا في تفسيره فوق هذا يدركه من أمعن النظر فيه، وأجال الفكر في مراميه، وعقد المقارنة بينه وبين كشاف الإمام الزمخشري، فلربما أخر الإمام النسفي قولا

---

(١) آل حم : غافر، فصلت : دراسة في أسرار البيان أ.د محمد محمد أبو موسى٧٧، مكتبة وهبة الطبعة الثانية.

(٢) ذلك أن الإمامين الزمخشري والبيضاوي – عفا الله عنهما – أتبعا تفسير كل سورة بما يتعلق بها من فضل ورد في الحديث المنسوب لأبي بن كعب ﷺ وقد نبه أهل العلم على أنه حديث موضوع لا ينبغي ذكره إلا مقرونا ببيان حاله والتنبيه على وضعه وقد أحسن الإمام النسفي حين أعرض عن هذا الحديث المكذوب وصان تفسيره من إيراده [ينظر : فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي للإمام شمس الدين السخاوي ت٩٠٢هـ، ط١ :مكتبة السنة، مصر : ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م] .

قدمه الإمام الزمخشري ورجحه، وربما أعرض عن القول الذي اعتمده الزمخشري أو البيضاوي وأتى بغيره مما لم يرد عليه الإشكال الوارد على ما اعتمداه.

وقد يعرض عن أحاديث واهية في أثناء تفسيره فضلا عن حديث فضائل السور.

وله جهد في ذكر ما يحسن الوقف عليه وما لا يحسن، وكثيرا ما تكررت عنده عبارة: "ولا وقف على..."، وله اهتمام بالغ بالقراءات السبع المتواترة وبيان من قرأ بكل قراءة[(١)] إلى غير ذلك مما تراه في غضون هذا البحث.

وقد راعيت في هذه التعليقات أمورًا من أهمها:

١- إيضاحُ عبارة الإمام النسفي بما يفي بالغرض، والإعراضُ غالبا عمَّا لم يتعرض له الإمام.

٢- التنبيه على ما وقع في عبارة الإمام النسفي من اختلاف في الطبعات، مع الرجوع إلى المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية[(٢)].

٣- ذكر بعض التنبيهات واللطائف في بعض المواضع تجديدا لنشاط

---

(١) العجيب حقا أن الدكتور حسن حنفي في كتابه:(من النقل إلى العقل (٤/ ٢/ ١٩٤) قال - وهو يصف تفسير الإمام النسفي وما فيه - : "تدخل مصطلحات جديدة مثل: شامي، كوفي، بصري مع أن القرآن لم ينزل إلا في مكة والمدينة والطريق بينهما"! ولا يخفى على من له دراية بعلم التفسير أن هذه المصطلحات لم تذكر كمكان لنزول القرآن، وإنما لأنها بلاد القراء السبعة فالشامي يرمز به لقراءة ابن عامر، والكوفي للقراء الثلاثة عاصم، وحمزة، والكسائي، والبصري لأبي عمرو البصري، وأيضا نسبة إلى مصاحفهم.

(٢) يوجد بها ثلاث نسخ: نسختان تامتان محفوظتان برقم ٢١٤ تفسير، و١٢ تفسير خليل أغا، ونسخة محفوظة برقم ٢١٥ تفسير وآخرها تفسير سورة الجاثية.

القارئ، ولِما رأيت في ذكرها من الفائدة.

٤- تحقيق المسائل المشكلة وما يحتاج إلى تحرير، والإفادة من أرباب التخصص في ذلك.

٥- العناية بتفسيرالإمام الزمخشري لما له من الأثر البالغ في تفسير الإمام النسفي، والإفادة من الحواشي الموضوعة على تفسيري الإمامين الزمخشري والبيضاوي، وتحريرات بعض المتأخرين كالإمام الألوسي والعلامة ابن عاشور.

٦- تمييز عبارة الإمام النسفي وفصلها عن التعليق فجعلت كلام الإمام النسفي في أصل الصفحة وصدرها وهو القسم الأول والتعليق عليه أسفل منه وهو القسم الثاني ثم وضعت حاشية أخرى منبثقة عن التعليق لبيان المصادر التي أفدت منها في هذا التعليق وهي القسم الثالث من الصفحة.

٧- سوق كلام من أفدت منه بلفظه حين وجدته موجزا ووافيا بالمقصود مع العزو إليه مباشرة، فإن تصرفت في النقل عنه باختصار ونحوه عزوت إليه معبرا بـ"ينظر".

٨- قد أستخلص مما ذكره عدد من المفسرين ما لا يغني عنه كلام أحدهم وحينئذ أسوق هذه التحريرات والفوائد مساقا واحدا يجمع متفرقه، ويلم شعثه ثم أحيل على هذه الكتب بـ "ينظر" أيضا، وإن كان في كلٍّ منها بعض ما ذكر لا جميعه، وذلك لأن النقل عن جميعهم قد يوقع في الإطالة، والتكرار، وتشتيت الفوائد.

٩- المقارنة بين كلام الإمام النسفي ومن سبقه ممن أفاد منهم لا سيما الإمام الزمخشري عند اقتضاء المقام ذلك كوجود اختلاف في العبارة، أو الرأي مما يظهر به أوجه الافتراق والانفراد عند الإمام النسفي.

١٠-الاعتناء بتوجيه الأوجه التي ذكرها الإمام النسفي، والاستدلال لها، وبيان ما يَرِد عليها.

١١-توثيق القراءات القرآنية، وعدم الاكتفاء بالسبعة كما هو صنيع الإمام، وإنما ضممت إليها القراءات الثلاث المتممة للعشر، كما أنبه على ما فاته من أوجه في القراءات السبعة عند ذكره لها.

١٢- تعقب الإمام فيما يحتاج إلى تعقب مع بيان سببه.

١٣- وضع عناوين رئيسة لكل مجموعة من الآيات تتفق في موضوعها الخاص، وذكر هذه الآيات مجتمعة قبل نص الإمام النسفي والتعليق عليه.

هذا.... وقد ذيَّلت البحث بمبحث يُبَيِّن القيمة العلمية لتفسير الإمام النسفي لهذه السورة الكريمة وما له، وما عليه من خلال ما سبق في التعليق والمقارنة.

وقد اقتضى العمل في هذه التعليقات أن يكون المنهج المتبع فيه المنهج التحليلي، والمنهج المقارن مع ما يقتضيانه من استعمال النقد حين يكون له موضع.

أسأل الله الإخلاص والقبول والعون والسداد.

سورة النبأ :

التعريف بالسورة الكريمة :

سورة النبأ [1] مكية[2] وهي أربعون آية[3]

---

(١) **سورة النبأ :** اشتهرت بهذا الاسم في أكثر المصاحف، وكتب التفسير، والسنة لوقوع كلمة «النبأ» في صدرها فهو اسم توقيفي، وتسمَّى أيضا بـ سورة (عم يتساءلون)، و(عم)، و(التساؤل) و(المعصرات) [1].

(٢) نقل عدد من المفسرين الإجماع على **مكيتها** كابن عطية، والشهاب الخفاجي، والشوكاني[2].

(٣) **آياتها** أربعون آية في العدِّ المدني الأول والثاني، والشامي، والكوفي، وأما في العدِّ البصري والمكي بخلف عنه فإحدى وأربعون آية، والمختلف فيها آية ﴿ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ فعدها البصري والمكي بخلف عنه وهو الراجح عنده آية، ولم يعدها الجمهور آية، وإنما بعض الآية الأخيرة، ولا يخفى أن ذلك الاختلاف لا يضر بالنص القرآني إذ هو عندهم جميعا واحد بلا زيادة ولا نقص، ال الشيخ عبد الفتاح القاضي في "الفرائد الحسان في عد آي القرآن" مبينًا الاختلاف في هذا العد":

... ... (قريبًا) البصري وخلف مكِّهم [3]

---

(١) ينظر : روح المعاني للإمام الألوسي١٥/ ٢٠١، ط . دار الكتب العلمية، بيروت، والتحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور ٣٠/ ٥، ط .الدر التونسية، تونس.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٣) - دار الكتب العلمية - بيروت، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ٢٩٩) – دار صادر - بيروت، وفتح القدير (٥/ ٤٣٧) ط١: دار ابن كثير، دمشق، بيروت : ١٤١٤ هـ.

(٣) ينظر: الفرائد الحسان في عد آي القرآن للشيخ عبد الفتاح القاضي ٧٠ - مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

النبأ العظيم واختلاف الناس فيه :

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾ .

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ ﴾ ﴿عَمَّ﴾ أَصلُه(عن ما)[١] وقُرِئَ بها[٢] ثم أدغمت النونُ في الميم[٣] .

---

(١) قاله الزجاج وغيره من علماء التفسير واللغة[١] .

(٢) أي: على الأصل بلا إدغام للنون في الميم، ولا حذف لألف "ما".
قال الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي تعليقًا على قول الإمام النسفي: (وقرئ بها): "على الأصل في الشواذ"[٢] .
قلت: الذي اقتصر عليه المفسرون وأهل القراءات في الشاذ هنا قراءة واحدة وهي: "عمَّا" بإثبات الألف لكن مع إدغام النون في الميم كما هو من المعروف من أمرهما إذا التقيا، وسيأتي بيانها في التعليق على كلام الإمام النسفي قريبا أما القراءة بإثبات النون مظهرة فلم أقف عليها في كتب القراءات وأخشى أن يكون هذا وهما من إمامنا النسفي ويعضد هذا أن من أفاد منهم الإمام النسفي في تفسيره لم يذكروها قراءة.

(٣) أدغمت النون في الميم؛ لأن الميم تشرك النُونَ في الغُنَّةِ في الأنف"، وقيل: أدغمت النون بعد قلبها ميما في الميم؛ لأن أحد المتقاربين لا يدغم في الآخر إلا بعد قلبه بالآخر ؛ تحقيقًا للماثلة الموجبة للإدغام"[٣] .

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧١) - دار عالم الكتب - بيروت.

(٢) الإكليل على مدارك التنزيل (٨/ ٤٨١) - دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧١)، والإكليل على مدارك التنزيل (٧/ ٤٨١).

فصار عمَّا وقرئ بها فصار عمَّا وقرئ بها[1] ثم حذفت الألف تخفيفاً[2]؛ لكثرةِ الاستعمالِ في الاستفهامِ[3] وعليه الاستعمالُ

(١) قرأ عكرمة وعيسى بن عمر بإثبات الألف "عمَّا" وهي قراءة شاذة[1].

(٢) التخفيف هو: أحد الأوجه التي قيلت في سبب حذف الألف من"ما" الاستفهامية عند دخولها على حروف الجر كـ" عن، واللام، وفي"، والمراد به التخفيف في الكلام فإنه لفظ كثير التداول على اللسان، وسوغ ذلك أن حرف الجر صار كالعوض عن الألف، وأنها وقعت طرفا فحذفت تخفيفا، والفتحة دالة عليها، وقد ذكروا أيضا من هذه الأوجه: التفريق بين "ما" الخبرية"، و"ما" الاستفهامية، وأيضا اتصال "ما" بحرف الجر حتى صارت كجزء منه فحذفت الألف لتنبئ عن شدة الاتصال؛ ولذلك فإن الألفات التي تكتب في حروف الجر على صورة الياء مثل" على، إلى" تكتب على صورة الألف إذا جر بواحد من تلك الحروف (ما) الاستفهامية فيقال: علام وإلام؛ لأنها صارت على حرف واحد فأشبهت جزء الكلمة فصارت الألفات كالتي في أواسط الكلمات[2].

وقد ذكر الإمام البقاعي سرًا معنويا لهذا الحذف يناسب القول بأن التساؤل من الكفار كان شكا أو خصومة فقال: "وحذف ألفه لكثرة الدور والإشارة إلى أن هذا السؤال مما ينبغي أن يحذف، فإن لم يكن فيخفى ويستحى من ذكره"[3].

(٣) وذلك لأن كثرة الاستعمال تستدعي التخفيف فـ"عما" بإثبات الألف في الاستفهام والخبر هذا هو الأصل ثم حذفوا الألف في الاستفهام تخفيفا، وفرقا بينه وبين الخبر، ولأن الألف في الخبر(الموصولة)بمعنى الذي" قال

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني٢/ ٣٤٧ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٢٨، ومفاتيح الغيب (٨/ ٢٥٥)، (٣١/ ٥) للإمام الرازي،ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٧٣).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسورللإمام البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الكثيرُ[١] ، وهذا استفهام تفخيم للمستفهم

حين بين في حاشيته على البيضاوي أن الحذف في الاستفهام وقع لأنه وجد في كلام العرب هكذا، وأن العلة للحذف مصححة لا موجبة ، ولذا ورد عنهم إثبات الألف مع الاستفهام أيضًا[١].

(١)الأكثر حذف الألف مع "ما" الاستفهامية كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ سورة آل عمران: ٧١، وقوله: ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ سورة النمل: ٣٥ وقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾ سورة النازعات:٤٣، وغيرها كثير، قال ابن مالك:

و(ما) في الاستفهام إن جُرَّت حُذِف ∴ ألِفها وأَوْلِهَا الْها إنْ تقف [٢]

وقد تثبت الألف باعتبار الأصل وهو قليل ومن أمثلته[٣]: قراءة عكرمة: "عمَّا يتساءلون"، وبهذا جاءت بعض الأحاديث النبوية منها قوله ﷺ لعلي ﷺ : "بِمَا أَهْلَلْتَ يَا عَلِيُّ؟ قَالَ: بِمَا أَهَلَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ... "[٤]، ومن الشعر قول حسان بن ثابت ﷺ يهجو عابد بن عبد الله بن مخزوم:

على ما قام يشتمني لئيم ∴ كخنزير تمرغ في رماد [٥]

وقيل: إن بعض العوام سأل أحد الفضلاء فقال له: بما توصيني؟ وأثبت الألف في «ما»، فقال: بتقوى الله وإسقاط الألف من «ما»[٦].

(١) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ٢٠/ ٣ ، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ألفية ابن مالك. محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ٧٢. ط . دار التعاون.

(٣) ينظر: شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح لابن مالك الطائي ٢١٧، ط١: مكتبة ابن تيمية.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج(باب من أهل في زمن النبي ﷺ)كإهلال النبي ﷺ [(٢/ ١٤٠ حديث ١٥٧٧]، ط١: دار طوق النجاة.

(٥) ديوانه ٨٩، تحقيق عّبدأ. علي مَهنّا،ط٢: دار الكتب العلمية:١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

(٦) ينظر: الغيث المسجم في شرح لامية العجم للشيخ/ صلاح الدين خليل بن أيْبك الصفدي ت ٧٦٤ هـ - دار الكتب العلمية (١/ ١٠٩)].

عنه[1]؛ لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية[2].

(١) يبدو أن عبارة النسفي مقتبسة من الزمخشري حين قال: "ومعنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال: عن أى شأن يتساءلون. ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أى شيء هو من الأشياء هذا أصله، ثم جرد للعبارة عن التفخيم، حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية "[1]، وهو كلام رائع إلا أنه خلا – كما ذكر أ. د/ عبد العظيم المطعني – من بيان نوع الاستفهام أمن قبيل التقرير أم من قبيل الإنكار؛ لأن التفخيم معنى ثانٍ يُردف على التقرير كما يردف على الإنكار، والذي صرَّح به أبو حيان أن الاستفهام هنا بمعنى التقرير، وجعله ابن عاشور في تفسيره للتشويق[2]، ويرى الدكتور/ المطعني أن الاستفهام مشوب برائحة التقرير وأنه يكاد يكون قِسمًا بعينه لا للتقرير ولا للإنكار. بل المراد الإثارة، وتحريك المشاعر إلى ما سيلقى من بيان كأنه قرع عصى للتنبيه وتهيئة للنفوس وطرد للشواغل عنها، وينشأ عن هذا كل المعاني التي أشار المفسرون إليها من التفخيم والتهويل والتعجيب وعظمة شأن المستفهم عنه[3].

(٢) يقصد بذلك بيان سبب خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفهم إلى هذا المعنى المجازي؛ لصدوره في كلام الله الخالص غير المحكي، والله لا تخفى عليه خافية؛ ولذا فلا خلاف بين الأئمة في خروجه عن معنى طلب الفهم؛ لا ستحالته في حق الله تعالى، وتفسير الإمام للاستفهام بالتفخيم والتعظيم أي: أنه مجاز ووجْهُه أنَّ الشئ إذا كان عظيما يبعد عن العقول فلا يعلم فيكون مجهولا فالاستفهام عن الشئ مسبب عن الجهل به والجهل مسبب عن فخامته فيكون مجازًا مرسلًا بذكر المسبب وإرادة السبب[4].

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٤) – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة.
(٢) ينظر: البحر المحيط ١٠/ ٣٨٣:دار الفكر، بيروت، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٩٠).
(٣) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم (١/ ٣٣٦) – مكتبة وهبة.
(٤) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٤).

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً[١] أو يسألون غيرهم من المؤمنين[٢]

(١) وذلك لأن التساؤل تفاعل وحقيقة صيغة التفاعل تفيد صدور معنى المادة المشتقة منها من الفاعل إلى المفعول وصدور مثله من المفعول إلى الفاعل، فيحتمل أن المشركين يسأل بعضهم بعضا سؤال متطلع للعلم لأنهم حينئذ لم يزالوا في شك من صحة ما أنبئوا به ثم استقر أمرهم على الإنكار، وقد يسأل أحدهم سؤال مستثبت، أو سؤال كشف عن معتقده، أو ما يُوصَف به المُخبِر بهذا النبأ كما ذكر الله عنهم قول بعضهم لبعض: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾[سبأ: ٨][١].

(٢) وذلك بناء على أن التساؤل بمعنى السؤال وأن صيغة التفاعل هنا بمعنى الفعل كما يقال: يتداعونهم ويتراءونهم أي يدعونهم ويرونهم، فـ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ هنا على هذا بمعنى (يسألون غيرَهم) فيقدَّر المفعول، والمراد هنا على ذلك يسألون الرسول والمؤمنين عن هذا الخبر سؤال تهكم واستهزاء.

و(تَفَاعَل) قد يكون بمعنى (فَعَل) وإن لم يتعدد فاعله. كتواني زيد وتدانى الأمر، ومنه: سابَّه أي: سبه، بل إنه قد يرد حيث لا يمكن التعدد نحو ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة النمل: ٦٣.

وثمَّ قول آخر وهو أن التساؤل يستعمل أيضا بمعنى التحدث وإن لم يكن من بعضهم لبعض سؤال كما قيل في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي يتحدثون[٢].

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ٦)، وحاشية الشهاب (٨/ ٣٠٠)].

والضمير لأهل مكة[1] كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء[2]

(١) جعل الضمير لأهل مكة بقرينة الوعيد في الآيات بعد ذلك: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ولا يعكر على ذلك عدم سبق ذكرهم فقد قال الشهاب الخفاجي: "الضمير لأهل مكة وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حسا قيل: مع ما في الترك من التحقير والإهانة للإشعار بأنه مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم"[1]، وأيضًا فقد سبق ذكرهم في السور المتقدمة إذ السور كلها في حكم سورة واحدة قاله القونوي، وذكر أن الأولى أن يقال: إنه يعم الكفرة من كفار مكة وغيرهم[2]، وذكر أ. د/ المطعني أن واو الجماعة وضعت موضع الظاهر؛ لتأدية معنيين بلاغيين: أحدهما الإشارة إلى اشتهارهم بذلك التساؤل فقام الاشتهار مقام الذكر اللفظي، والآخر: لما في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ من تحقيق توافق الفواصل في الإيقاع الصوتي لبناء الفواصل على حروف المد هكذا [يتساءلون – العظيم – مختلفون][3].

(٢) هذا على تفسير النبأ العظيم بالبعث وهو ما صرح به النسفي بعدُ ، وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن المشركين كانوا يكررون السؤال للرسول ^ والمؤمنين عن وقوع البعث وموعده استبعادا واستهزاء قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ وعلى ذلك فالتساؤل متعدٍّ ومفعوله مقدر هنا وحذف لظهوره أو لأن المستعظم السؤال بقطع النظر عمن سأل أو لصـــون =

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٨/ ٣٠٠).

(٢) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (٢٠/ ٥ – ٦).

(٣) الأسلوب البلاغي للاستفهام (٣/ ٣٣٧).

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ أي البعث[١]

= المسئول عن ذكره مع هذا السائل[١]، وقد ذكر الفيروز آبادي أنَّ السؤال ورد في القرآن الكريم على عشرين وجهًا منها سؤال المخاصمة وذكر من أمثلته قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾[٢].

(١) تفسير النبأ العظيم هنا بالبعث أو يوم القيامة هو أشهر الأقوال المذكورة في تفسيره، وقد رجحه عدد من المفسرين، واحتجوا له قال الإمام الرازي مرجحًا أنه البعث: "وهذا هو الأقرب ويدل عليه وجوه أحدها: قوله: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ والظاهر أن المراد منه أنهم سيعلمون هذا الذي يتساءلون عنه حين لا تنفعهم تلك المعرفة، ومعلوم أن ذلك هو القيامة وثانيها: أنه تعالى بين كونه قادرا على جميع الممكنات بقوله: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ إلى قوله: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ۝١٨﴾ وذلك يقتضي أنه تعالى إنما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادرا على إقامة القيامة، ولما كان الذي أثبته الله تعالى بالدليل العقلي في هذه السورة هو هذه المسألة ثبت أن النبأ العظيم الذي كانوا يتساءلون عنه هو يوم القيامة وثالثها: أن العظيم اسم لهذا اليوم بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[سورة المطففين: ٤ – ٦] ، ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾[سورة ص: ٦٧ – ٦٨]، ولأن هذا اليوم أعظم الأشياء لأن ذلك منتهى فزع الخلق وخوفهم منه فكان تخصيص اسم العظيم به لائقًا"[٣].

(١) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٢٠٢).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٣/ ١٦٧) – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ٦).

.....

وأجاب هذا الفريق عن دعوى أن الكفار متفقون على إنكار البعث لا مختلفون - فلا يصلح أن يراد بالنبأ البعث - بأن الاختلاف بينهم حاصل فمنهم المنكر، ومنهم الشاك المتردد، أو أن الاختلاف في الآية واقع بين المؤمنين المثبتين للبعث والكافرين المنكرين له.

وهناك قول ثانٍ بأن النبأ العظيم هو القرآن الكريم استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إذ الاختلاف بين الكفار في القرآن مشهور فمنهم من يقول: إنه سحر، ومنهم من يقول: أساطير الأولين إلى غير ذلك وقد عزاه الواحدي لجميع المفسرين(١)، والبغوي للأكثرين(٢)، وثمَّ قول ثالث وهو أن المراد بالنبأ العظيم أمر النبي ﷺ وقد اختلفوا فيه وتعددت أقوالهم في شأنه.

ومع أن القول الأول أليق بسياق السورة ؛ إذ السورة حديث عن براهين البعث وأحوال الناس يوم القيامة؛ فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه لا منافاة بين الأقوال الثلاثة وأن بينها تلازما فالواحدي فسَّر النبأ العظيم في تفسيره "الوجيز" بالبعث مع ما تقدم من نقله إجماع المفسرين على أنه القرآن في تفسيريه البسيط والوسيط(٣).

وقال جلال الدين المحلي عن النبأ العظيم: "هو مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيّ ﷺ مِنْ الْقُرْآن الْمُشْتَمِل عَلَى البعث وغيره"(٤).

(١) ينظر: التفسير البسيط للواحدي (٢٣/ ١١١). ط١ :عمادة البحث العلمي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والتفسير الوسيط له (٤/ ٤١١). دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م .

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٣٠٩) - دار طيبة - الطبعة الرابعة ٣٠٢].

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز له أيضًا ١١٦٥ - دار القلم، دمشق، بيروت.

(٤) تفسير الجلالين صـ ٧٨٦ - دار الحديث - ط: الأولى.

وهو بيان[١] للشأن المفخم[٢] وتقديرُه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾؟ يتساءلون عن النبإ

وقال ابن عاشور: "والتعريف في النبإ تعريف الجنس فيشمل كل نبأ عظيم أنبأهم الرسول ﷺ به، وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله، وما تضمنه القرآن من إبطال الشرك، ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة، فما يروى عن بعض السلف من تعيين نبأ خاص يحمل على التمثيل"[١].

(١) يقصد بذلك أن قوله: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ليس متعلقا بقوله ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ المذكور في الآية؛ إذ قد تعلق به الجار والمجرو المتقدم ﴿عَمَّ﴾، وقوله: "وهو بيان" قيل: إن ذلك على طريقة الاستئناف للبيان، واعترض عليه بأن الاستئناف البياني: جملة واقعة في جواب سؤال مقدر وهو هنا بعيد صناعة إذ لا يظهر تقدير سؤال يكون هذا جوابه؛ لأن السؤال مصرح به وهو ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ فكيف يقدر مع وجوده؛ ولذا اختار بعضهم أن البيان هنا هو عطف البيان، وأنه لا مانع منه عقلا، ولا صناعة[٢].

(٢) أي: بيان لشأن المسئول عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فإنّ إيراده على طريقة الاستفهام فيه تنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خليق بأن يعتني بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به[٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٠).

(٢) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الطيبي (١٦/ ٢٤١) – ط١: نشر : جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، والفتوحات الإلهية (٤/ ٥٤٩)].

(٣) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٢٠٣).

العظيم[1] ﴿ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾ فمنهم من يقطع بإنكارِه ومنهم من يشُك[2] وقيل: الضميرُ للمسلمين والكافرين وكانوا جميعًا يتساءلون عنه

(١) يريد بذلك أن قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ متعلق بفعل مقدر تقديره: ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ دل عليه المذكور قبله في قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ على منهج قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ . وقال المهدوي: "ليس تتعلق ﴿ عَنِ ﴾ بـ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ الذي في التلاوة، لأنه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون: أعَن النبإ العظيم كقولك: كم مالك أثلاثون أم أربعون؟ فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه بـ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴾ الذي في التلاوة، أن يتعلق بـ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ آخر مضمر. وحسن ذلك لتقدم يتساءلون"[1]، وهناك من يقول: إن ﴿ عَمَّ ﴾ بمعنى لأي شيء أو لِمَ ، وعليه فلا تقدير بل الآيتان متصلتان أي: لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم، ونسبه ابن عطية في تفسيره لأكثر النحاة[2]، وثمَّ أقوال أخرى في ذلك لكن الأول الذي اقتصر عليه النسفي أفصح وأبرع كما عبَّر بذلك ابن جزي، وهو الحقيقُ بالجزالةِ التنزيليةِ كما يقول العلامة أبو السعود[3].

(٢) هذا على تفسير النبأ بالبعث، وحمل الاختلاف على معناه الظاهر والمشهور ويدل على شك بعضهم في أمر البعث: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ... ﴾، وأما على تفسير النبأ بالقرآن، أو أمر الرسول ﷺ فالأمر واضح فيهما فقد اضطربت أقوالهم، واختلفت آراؤهم في الحكم على القرآن والرسول ﷺ فزعموا أن القرآن سحر، أو

(١) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل (١٧/ ١٤)، ط١: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٥/ ٤٢٣).

(٣) التسهيل لابن جزي (٢/ ٤٤٤) – دار الأرقم بن الأرقم ، ط١: وإرشاد العقل السليم (٩/ ٨٤) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فالمسلمُ يسألُ ليزدادَ خشيةً، والكافرُ يَسألُ استهزاء[(١)].

أضغاث أحلام، أو أساطير الأولين وغير ذلك، كما زعموا أن الرسول شاعر أو مجنون، أو مفتر، أو ساحر إلى غير ذلك من الإفك المبين والدعاوى الباطلة. هذا وقد حَمَل أبو السعود اختلافهم على معنى مخالفتِهم للنبيِّ ﷺ (بأن يُعتبرَ في الاختلافِ محضُ صدور الفعل عن المتعدد حسبَما ذُكرَ في التساؤلِ فإنَّ الافتعالَ والتفاعلَ صيغتانِ مُتآخيتانِ كالاستباقِ والتسابقِ يجري في كل منهما ما يَجْري في الأُخرى لا على مخالفةِ بعضِهم لبعضٍ من الجانبينِ لأنَّ الكُلَّ وإنِ استحقَ الردعَ والوعيدَ لكنَّ استحقاقَ كلِّ جانبٍ لهُما ليسَ لمخالفتِه للجانب الآخر إذ لاحقية في شيء منها حتَّى يستحقَّ مَن يخالفُه المؤاخذة بل لمخالفته له)[(١)].

(١) يشير بذلك إلى قول من ذهب إلى أن الضمير في ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ للناس عموما سواء أكانوا كفار مكة أم غيرهم من المسلمين وسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وإيمانا، وسؤال غيرهم استهزاء ليزدادوا كفرا وطغيانا وتعقبه العلامة أبو السعود بقوله: "يرده قوله: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ الخ فإنَّه صريحٌ في أنَّ المرادَ اختلافُ الجاهلينَ بهِ المنكرينَ له إذْ عليه يدورُ الردعُ والوعيدُ لا على خلاف المؤمنينَ لهم وتخصيصُهما بالكفرة بناءً على تخصيص ضميرِ سيعلمونَ بهم مع عموم الضميرينِ السابقينِ للكلِّ ممَّا ينبغِي تنزيهُ التنزيلِ عن أمثالِه" قلت: وكذا من ذهب إلى أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ للمؤمنين والكفار مع قوله بأن الضمير في ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴾ لأهل مكة أو الكفار فإن قوله لا يخلو من نظر؛ إذ الظاهر أن يتساوى الضميران في الآيتين ماصدقا لا أن يختلفا - والله أعلم - [(٢)].

(١) إرشاد العقل السليم (٩/ ٨٥)، وروح المعاني (١٥/ ٢٠٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٩/ ٨٥)، وحاشية الجمل (٤/ ٤٧١) - دار المنار طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه).

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع الاختلاف والتساؤل هزؤاً[1].

﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم[2] بأنهم سوف يعلمون عِيانا أن ما يتساءلون عنه حق[3] ﴿ثُمَّ كَلَّا

(١) وكون ﴿كَلَّا﴾ هنا للردع والزجر واضح على ما ترجح من كون الضمائر السابقة للكفار، وأما على القول بأنها لجميع الناس فيكون من قبيل تغليب الكفار والمنكرين على غيرهم، ومجئ: ﴿كَلَّا﴾ للردع يشهد له أن المقام مقام وعيد شديد وتهديد أكيد، وأنه المعنى الغالب لها، بل بعض أئمة اللغة قصرها عليه بإطلاق، لكن يعكر عليه أنها قد تأتي غير مسبوقة بما يناسب الزجر[1].

(٢) قوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد بطريقِ الاستئنافِ وتعليلٌ للردعِ والسينُ للتقريبِ والتأكيدِ والمَعْنى ليرتدعُوا عمَّا هُم عليهِ فإنَّهم سيعلمونَ عمَّا قَلِيل حقيقةَ الحالِ إذا حلَّ بهم العذابُ والنكالُ وذلك أن الغالب في استعمال ﴿كَلَّا﴾ أن تعقب بكلام يبين ما أجملته من الردع والإبطال فلذلك عقبت هنا بقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وهو زيادة في إبطال كلامهم بتحقيق أنهم سيوقنون بوقوعه ويعاقبون على إنكاره[2].

(٣) أي: يحصل ذلك لهم عند الموت وفي الآخرة، ويتبين لهم بالمعاينة، وحذف مفعول ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ - على القول بتعديته كما هو الأصل - أفاد معنى التعميم والتهويل ومن محاسن هذا الأسلوب في الوعيد أن فيه إيهاما بأنهم سيعلمون جواب سؤالهم الذي أرادوا به الإحالة والتهكم، وصوروه في صورة طلب الجواب فهذا الجواب من باب قول الناس: الجواب ما ترى لا ما تسمع[3].

(١) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٠)، ولتفصيل القول في معاني "كلا" ينظر: مغني اللبيب لابن هشام ٢٤٩ – ٢٥١، دار الفكر، دمشق، ط٦: ١٩٨٥م، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة (٢/ ٣٨٨ - ٣٩٥) - دار الحديث، القاهرة.

(٢) إرشاد العقل السليم (٩/ ٨٥)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ١١).

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي"بحر العلوم" (٣/ ٤٣٩). دار الكتب العلمية، والتحرير والتنوير (٣٠/ ١١ - ١٢)].

سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ كرر الردع للتشديد[١] و﴿ثُمَّ﴾ يشعر بأن الثاني أبلغ من الأول وأشد[٢]

(١) تكرير الردع حاصل هنا بتكرير لفظة: ﴿كَلَّا﴾، كما أن تكرير الوعيد حصل بتكرار: ﴿سَيَعۡلَمُونَ﴾، ولذا فعبارة الزمخشري: "وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك"[١] أدق ومثله أبو السعود إذ قال: "تكريرٌ للردعِ والوعيد للمبالغةِ في التأكيدِ والتشديدِ"[٢].

(١) كشف السبكي عن السر في أن "ثمَّ" أفادت أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول بقوله: "وسره أن فيها تنبيها على أن ذلك تكرر مرة بعد أخرى، وإن تراخى الزمان بينهما، ومن شأن ذلك أنه لا يكون إلا فى شئ لا يقبل أن يتطرق عليه تغيير، بل هو مستمر على تراخى الزمان"[٣].

والذي صرَّح به كثير من المفسرين أن ﴿ثُمَّ﴾ هنا للتراخي الرتبي الدال على التدرج في درج الارتقاء في الوعيد وهو على هذا استعارة تبعية تشبيها للتراخي الرتبي بالتراخي الزماني في مطلق التباعد بين الأمرين فاستعير التراخي الزماني للتراخي الرتبي، وبواسطته استعير ﴿ثُمَّ﴾ الموضوع للتراخي الزماني للتراخي الرتبي. فكأنه قيل لهم يوم القيامة ردع وعذاب شديدان بل لهم يومئذ أشد وأشد وبهذا الاعتبار صار كأنه مغاير لما قبله فعطف عليه.

قال العصام الحنفي: "فإن قلت: إذا كان الإنذار الثاني أبلغ لم يكن تكريرًا. قلت: كونه أبلغ باعتبار زيادة اهتمام المنذر به لا بأنه زاد في المفهوم شيء"[٤]، وذهب بعض المفسرين إلى تخصيص ﴿سَيَعۡلَمُونَ﴾ الأولى بزمان والأخرى بزمان آخر وتكون ﴿ثُمَّ﴾ على حقيقتها فقيل: الأولى عند النزع، والثانية في القيامة، وقيل: الأول للبعث والثاني للجزاء، ويعكر عليه أن التخصيص خلاف الظاهر، والمتبادر كونه عامًا لكل ما ذكر والتكرار للتأكيد حسن، وما ذهب إليه بعضهم من تخصيص الأولى بالكفار، والثانية بالمؤمنين أو العكس يأباه قوله: ﴿كَلَّا﴾ التي تدل على الردع والزجر، وأن السياق في الوعيد والتهديد وأنه لا حاجة إلى تفكيك الضمائر[٥].

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٤).

(٢) إرشاد العقل السليم (٩/ ٨٥).

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٦٠٨) ط١: المكتبة العصرية، بيروت .

(٤) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (٢/ ٨٨) – دار الكتب العلمية – بيروت.

(٥) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٨ – ٩)، وروح المعاني (١٥/ ٢٠٤).

من عجائب صُنعِ الله ، الدالةِ على كمال قدرته ـ تعالى ـ :

تسعة أدلة على إثبات البعث :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ ﴾ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ ﴾ لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلقْ من أضيف إليه البعثُ هذه الخلائقَ العجيبةَ فلم تنكرون قدرتَه على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات[1]

(١) التعبير بـ "لمَّا" يستعمله كثير من المفسرين عند بيان المناسبات والكشف عنها ولا غرو أن أطلق البقاعي على كتابه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" "كتاب لمّا" وقال: "و (لمَّا) طرف يراد بها ثبوت الثاني مما دخل عليه بثبوت الأول على غاية المكنة بمعنى أنها كالشروط تطلب جملتين يلزم لذلك الملزوم، فتم الكتاب في هذا النظم بـ(لما) لأني أكثرت من استعمالها فيه لهذا الغرض"[1].

وعلى كل فما ذكره الإمام النسفي هنا وجه للمناسبة بين هذه الآيات وما قبلها، وهو الوجه المشهور فيها وفي بيانه قال الإمام الرازي: "اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم إنكار البعث والحشر، وأراد إقامة الدلالة على صحة الحشر قدَّم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرًا على جميع الممكنات عالمًا بجميع المعلومات، وذلك لأنه مهما ثبت هذان الأصلان ثبت القول بصحة البعث، وإنما أثبت هذين الأصلين بأن عدَّدَ أنواعا من مخلوقاته الواقعة على وجه الإحكام والإتقان، فإن تلك الأشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة، ومن جهة إحكامها وإتقانها تدل على العلم، ومتى ثبت هذان الأصلان وثبت أن الأجسام متساوية في قبول الصفات والأعراض، ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا بسماواتها وكواكبها وأرضها، وعلى إيجاد عالم الآخرة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية النظم"[2].

(١) نظم الدرر (٢٢/ ٤٤٧).
(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ٨).

أو قيل لهم: لِمَ فعلَ هذه الأشياءَ والحكيمُ لا يفعل عبثًا وإنكارُ البعثِ يؤدي إلى أنه عابثٌ في كلِّ ما فعل؟[١] ﴿مِهَٰدًا﴾ فراشًا فرشناها لكم حتى سكنتُموها[٢]

(١) هذا وجه آخر للمناسبة والصلة بين الآيات والأكثرون يكتفون بالوجه الأول وكلاهما كما هو واضح يشهد لمن ذهب إلى أن النبأ العظيم هو البعث، وقد نبه ابن عاشور على أن في الآيات الكريمة تسعة أدلة على عظيم قدرته، وبديع صنعه وقد جمعت هذه الآيات بين الاستدلال على الوحدانية بالانفراد بالخلق، والاستدلال على إمكان إعادة الأجساد للبعث بعد البلى ولكون الجملة في موقع الدليل لم تعطف على ما قبلها[١]. وقد ذكر الطبري أن وجه المناسبة تعداد النعم عليهم، وتقريرهم بها، وتوبيخهم على عدم الإيمان بخالقها وبما جاءت به رسله[٢]، واحتمل ابن جزي أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له[٣]، وهو ما صرح به السمرقندي بقوله: "فذكر صنعه؛ ليستدلوا بصنعه على توحيده"[٤].

(٢) تفسير المهاد بالفراش يشهد له قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ وهما أيضا في معنى البساط كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ والمهاد قيل: جمع مهد، وقيل: هو مصدر أو اسم مفرد كفَرْش وفراش والمراد منه هاهنا الممهود، أي ألم نجعل الأرض ممهـــودة =

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٣).
(٢) ينظر: جامع البيان(٢٤/ ٨).
(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٤٤).
(٤) تفسير السمرقندي "بحر العلوم" (٣/ ٤٣٩).

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ للأرضِ لئلا تميدَ بكم[٢]

فيكون من باب تسمية المفعول بالمصدر، أو أن تكون الأرض وصفت بهذا المصدر، كما تقول: زيد جود وكرم، كأنه لكماله في تلك الصفة صار عين تلك الصفة أو: أن تكون بمعنى ذات مهاد، وأصل مادة المهد تدل على معنى الليونة أو الرقة في أثناء الشيء المتجمع فلا يكون وعرًا ولا جافًا، وقيل المهاد والمهد: الموضعُ يُهَيَّأُ للصبيِّ، ويُوَطَّأُ. وعلى هذا ففي الآية تشبيه بليغ حيث حذف وجه الشبه والأداة، وجعل المشبه عين المشبه به.

والبدء في الاستدلال على البعث والامتنان عليهم بذكر الأرض مناسب لأمر البعث حيث إن البعث إخراج أهل الحشر من الأرض فكانت الأرض أسبق شيء إلى ذهن السامع عند الخوض في أمر بعث أهل القبور.

وجعل الأرض مهادا يتضمن الاستدلال بأصل خلق الأرض حيث جعل الأرض ملائمة للمخلوقات التي عليها والذي صنع هذا لا يعجزه أن يبعثهم بعد مماتهم[١].

(٢)أي: لئلا تميل بكم وتضطرب وتتحرك حركة شديدة وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [سورة النحل:١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [سورة الأنبياء:٣١] أي: جبالا ثوابت لئلا تميل بكم الأرض، والأوتاد: جمع وَتِد بكسر التاء – وهو المشهور – وبفتحها، والوتد: ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من خشب وغيره[٢]، وقد يعبر بالوتد عن ثبات الأمر ورسوخه ومنه

(١) روح المعاني١٥/ ٢٠٥، والتحرير والتنوير٣٠/ ١٠، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د.محمد حسن جبل ٤/ ٢١٩٢،ط١:مكتبة الآداب، القاهرة.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٤٤) (وتد) دار صادر – بيروت.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ وخلقناكم أزواجًا ذكر وأنثى [١]

قولهم:ثبت الله أوتادك[١]، وقد جعل الله الجبال بمنزلة أوتاد الخيمة المشدود عليه أطنابها، ففي الآية تشبيه بليغ أيضًا حيث شبه الْجِبالَ بـ «الأوتاد» مع حذف الأداة ووجه الشبه والمراد أرسينا الأرض بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد لأنها تمسك وتثقل وتمنع الأرض أن تميد[٢].

هذا ... والآية الكريمة فيها لون من ألوان الإعجاز العلمي حيث إن علماء طبقات الأرض اكتشفوا أن الجبال لها جذور تمتد تحت سطح الأرض امتدادا كبيرا لتثبيت الأرض وحفظ توازنها، وأنها ليست فقط تلك الارتفاعات الكبيرة التي تبدو على سطح الأرض وهو ما عبر عنه القرآن بأنها أوتاد[٣].

(١)كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ ﴾ [سورة النجم:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الروم:٢١]؛ وذلك ليتم الائتناس والتعاون على سعادة المعيشة وحفظ النسل وتكميله بالتربية، قال ابن عاشور: "وفي قوله: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ إيماء إلى ما في ذلك الخلق من حكمة إيجاد قوة التناسل من اقتران الذكر بالأنثى وهو مناط الإيماء إلى الاستدلال على إمكان إعادة الأجساد فإن القادر على إيجاد هذا التكوين العجيب ابتداء

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ٤٢٨٠،ط١:دار الكتب العلمية.
(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٤)، وروح المعاني (١٥/ ٢٠٥).
(٣) المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم د. زغلول النجار صـ ١٨، ٢٩ - مكتبة الشروق الدولية - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م].

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ قطعًا لأعمالكم وراحةً لأبدانكم، والسبتُ: القطعُ[1]

بقوة التناسل قادر على إيجاد مثله بمثل تلك الدقة أو أدق"[1]، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد منه كل زوجين وكل متقابلين من القبيح والحسن والطويل والقصير وجميع المتقابلات والأضداد، كما قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة[2]، قال ابن عطية: "معناه: أنواعا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم"[3].

(١) بين الإمام النسفي أن مادة "السبت" تدل على معنى القطع، وفسر السبات في الآية بقطع الأعمال وراحة البدن والسُبَات في الأصل: اسم مصدر بمعنى السبت قال الزجاج: "السبات: أن ينْقطع عن الحركة والروحُ في بدنه"[4]، وتفسيره بالراحة نسبه الشنقيطي لأكثر المفسرين؛ لأن النوم يقطع العمل النهاري، فينقطع به التعب أو لأن السبت أصله التمدد يقال: سبتت المرأة شعرها إذا حلّته من العقص وأرسلته لكن قيل: إن معناه هنا أيضا القطع، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشّداد الّذي كان مجموعا به وقطعه، وليس كل راحة يقال لها: سبات وإنما هو تفسير على المعنى[5].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٧).
(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ٩).
(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٤).
(٤) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٢).
(٥) ينظر: أضواء البيان (٦/ ٦٠) – دار الفكر – بيروت.

.....

وذكر المرتضى في أن السبات من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه، والسّبات هو النوم الممتد الطويل السكون، ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم إنه مسبوت، وبه سبات؛ ولا يقال ذلك في كلّ نائم والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتدًا طويلًا - ظاهر، وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة؛ لأن التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة؛ بل يصحبهما في الأكثر القلق والانزعاج، والهموم(١).

هذا ... وقد رجح الزمخشري(٢) وأبو السعود(٣) ونسبه الألوسي(٤) للمحققين أن السبات هنا بمعنى الموت الذي هو قطع للحياة فتكون الآية من قبيل التشبيه البليغ فالنوم كالموت، واستدل لذلك بمناسبته للمقام، والاحتجاج للبعث، وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [سورة الأنعام: ٦٠]، وبمقابلته للنشور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٧].

قال الطيبي: " السبات لفظةٌ مشتركةٌ وهي مفتقرةٌ إلى قرينةٍ مبينة، والقرينة ﴿نُشُورًا﴾ لتقابلها، فجعلها حقيقةً شرعيةً أولى من اللغوية التي بمنزلة المجاز" في بناء الأدواء خاصة ومنتهاها الموت(٥).

واحتج له الزمخشري أيضًا بأن "سُبَات" - وهي على زنة "فُعَال" تستعمل كثيرًا

(١) أمالي المرتضى٣٣٧ - ٣٤٠ ط١ : دار إحياء الكتب العربية .

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٣).

(٣) تفسير أبي السعود (٩/ ٨٦).

(٤) روح المعاني للآلوسي (١٥/ ٢٠٦).

(٥) حاشية الطيبي على الكشاف (١١/ ٢٤٩).

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ ستراً[1] يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء ما لا تُحبونَ الاطلاعَ عليه[2].

(١) هذا بيان لوجه الشبه بين الليل والباس حيث إن كلّا من الليل واللباس يستر المتلبس به؛ ولذا ففي الآية تشبيه بليغ للَّيل باللباس، ووجه الشبه: الستر الحاصل بكل وقيل: لليل ساتر؛ لإحاطة ظلمته بكل أحد.

قال أبو السعود: " ولعل المرادَ به - أي: اللباس - ما يستر به عندَ النومِ من اللحافِ ونحوِه فإنَّ شبهَ الليلِ به أكملُ واعتبارَهُ في تحقيقِ المقصدِ أدخلُ فهو جعلَ الليلَ محلاً للنومِ الذي جُعلَ موتًا كما جعلَ النَّهارَ محلاً لليقظة المعبرِ عنها بالحياةِ في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[1]، وقال الشهاب: "وبهذا يظهر حسن ذكره بعد النوم مع الإشارة إلى حكمة جعل النوم ليلا لأن النائم معطل الحواس فكان محتاجا لساتر عما يضره فهو أحوج ما يكون للدثار، وضرب خيام الأستار فانظر حسن هذا الاتساق"[2].

(٢) هذا من أوجه النعمة في جعل الليل لباسا، والنعم المترتبة على جعل الليل لباسا متعددة، فالليل سكن وقد جاء التصريح في الكتاب العزيز بهذه النعمة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ [سورة غافر:٦١]، وقد فسر اللباس به، والليل أيضا ساتر وواقٍ وقد كان العرب لا يُغير بعضهم على بعض في الليل وإنما تقع الغارة صباحًا؛ ولذلك إذا غِير عليهم يصرخ الرجل بقومه بقوله: يا صباحاه. ويقال: صبحهم العدو، ومن النعم الحاصلة بجعل الليل لباسا ما بيَّنه الإمام

(١) تفسير أبي السعود (٩/ ٨٦).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي (٨/ ٣٠٢).

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقت معاشٍ[١] .....

الرازي بقوله: "كما أن الإنسان بسبب اللباس يزداد جماله وتتكامل قوته ويندفع عنه أذى الحر والبرد، فكذا لباس الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الإنسان، وفي طراوة أعضائه وفي تكامل قواه الحسية والحركية، ويندفع عنه أذى التعب الجسماني، وأذى الأفكار الموحشة النفسانية، فإن المريض إذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة"، وصدق أبو الطيب المتنبي حين قال:

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أنَّ المانويةَ تكذب[١]

(١) قوله: "وقت معاش" يعني به أنه مصدر ميمي بمعنى العيشة وهي الحياة فعله عاش إذا حيي فلا جرم أن الوقت مقدر على ما ذهب إليه النسفي فيكون في الآية حذف مضاف، ولا يستفاد من كلام النسفي أن: ﴿ مَعَاشًا ﴾ اسم زمان؛ لأنه يلزم عليه أن يكون للوقت وقت لتصريحه به مضافا إلى المعاش، ومن المفسرين من يقدر "ذا معاش، أو مبتغى معاش أو مطلب معاش" وذهب بعضهم إلى أن ﴿ مَعَاشًا ﴾ اسم زمان وعليه فلا تقدير، ومنهم من ذهب إلى أن ﴿مَعَاشًا﴾ مصدر ولم يحتج لتقدير مضاف على معنى وجعلنا النهار حياة لكم شبهت اليقظة فيه الحياة، وقيل المعاش: اسم لما به عيش الإنسان من طعام وشراب، وكل شيء يعاش به فهو معاش فيكون الإخبار عن النهار بذلك مجازًا مرسلًا علاقته السببية؛ لأن النهار سبب للعمل الذي هو سبب لحصول المعيشة وذلك يقابل جعل الليل سباتًا بمعنى الانقطاع عن العمل، قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [سورة القصص: ٧٣][٢].

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٠)، والبيت في ديوان أبي الطيب المتنبي صـ ٤٦٦- دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ م.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١١١)، وحاشية القونوي (٢٠/ ١٢)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٢١).

تتقلبون في حوائجِكم ومكاسبِكم[1].

(١) يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [سورة الإسراء:١٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [سورة القصص: ٧٣] وقد فسر المعاش بابتغاء فضل الله تعالى، وهذا كله مناسب لتفسير السبات بالراحة، أو القطع، ويكون النهار للعمل والحركة، وهؤلاء يفسرون النشور في سورة الفرقان بانتشار الناس في النهار لمكاسبهم وأعمالهم، وأما من يميل إلى تفسير السبات بالموت فإنه يذهب إلى أن المعاش بمعنى الحياة؛ ولذا قال الزمخشري: "لما جعل النوم موتا، جعل اليقظة معاشا، أي: حياة"[1]، وإعراض النسفي عن تفسير المعاش بذلك مناسب لإعراضه عن تفسير السبات قبلها بالموت إلا أنه ذكر هذا القول في السبات في موضع الفرقان واستشهد له تبعا للزمخشري فليتنبه لذلك والله أعلم.

فائدة: قال الشهاب الخفاجي: "قدم هنا - أي: في سورة الفرقان - جعل الليل لباسا على جعل النوم سباتا لتقدمه عليه ووقوع النوم في أثنائه ولمناسبة الليل للظل وعكس في سورة النبأ ليتصل الليل بالنهار بعده والنوم بالأرواح التي هي راحة لهم" يقصد بالأرواح الأزواج في قوله: ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[2]،وأكثر استمتاع الزوجين في حال النوم والراحة قاله مصلح الدين الحنفي[3].

(١) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٥).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي (٦/ ٤٢٧).

(٣) كما في حاشية ابن التمجيد (٢٠/ ١٤).

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبعَ سمواتٍ[1] ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة[2] .....

(١) يشير بذلك إلى أن التنوين في: "سبعا" عوض عن المضاف إليه المقدر وهو: "سماوات" و"سبع سماوات" من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف لأن أصل الكلام: وبنينا فوقكم سماوات سبعة أو سبعا" فحذف الموصوف وهو "سماوات" وأقيمت الصفة ﴿سَبْعًا﴾ في مقامه ثم وصفت بالمؤنث: ﴿شِدَادًا﴾ باعتبار الموصوف وهو السماوات، وحذف الموصوف والاكتفاء بصفته معهود في اللغة ومنه قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ١١]، و ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في مواضع كثيرة. والأدلة على كون السماوات سبعًا متعددة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ...﴾ [سورة الطلاق: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [سورة نوح: ١٥]، وتفسيرها بالسماوات السبع عليه الجمهور خلافا لمن ذهب إلى أنها كواكب سبعة سيارة معروفة لعدم الدليل عليه ولأنها تزيد عن سبعة بخلاف السماوات السبع فإنها - وإن لم يروها - مشهورة لديهم.

(٢) وذلك لأن "شديدة" وصف على وزن فَعِيلة بمعنى: فاعل قال ابن مالك في الخلاصة في بيان ما يُجمع على "فِعال": وفي فعيل وصف فاعل ورد... كذاك في أنثاه أيضًا اطرد.

وأيضا فـ "فِعَال" يستعمل غالبا في الأمور الحسية ومن ذلك استعمالها في حق الملائكة ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [سورة التحريم: ٦]، بينما قال في حق المؤمنين: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: ٢٩] والمراد بالشدة والرحمة الأمران المعنويان، وأيضًا فالمراد هنا الوصف لا الاسم فلم تجمع على شدائد[1].

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية د. فاضل السامرائي ١٤٧ – ١٤٩، ط. دار عمار.

أي محكمة قوية لا يُؤثّرُ فيها مرورُ الزمان[1] أو غِلاظًا غِلَظ كُلِّ واحدةٍ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ[2] .....

(١) هذا وجه في معنى الشدة وقد قال الإمام الطبري في تفسير الآية: "وسقفنا فوقكم، فجعل السقف بناء، إذ كانت العرب تسمي سقوف البيوت، وهي سماؤها بناء، وكانت السماء للأرض سقفا، فخاطبهم بلسانهم، إذ كان التنزيل بلسانهم، وقال: ﴿ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ١٢] إذ كانت وثاقا محكمة الخلق، لا صدوع فيهن ولا فطور، ولا يبليهن مر الليالي والأيام"[1]، وقال ابن عطية: "ووصفها بالشدة، لأنه لا يسرع إليها فساد لوثاقتها"[2]، وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [سورة ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

(٢) هذا وجه ثانٍ في بيان معنى الشدة في الآية وقد وردت أحاديث وآثار كثيرة تدل على هذا المعنى، وقد ذكر بعضها الإمام السيوطي[3]، وقد صحح عدد من العلماء جملة من هذه الأحاديث والآثار، كما رجح كثير من المفسرين أن المراد بقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[سورة السجدة:٥] نزول الملك وصعوده في يوم واحد من أيام الدنيا وقدر مسيره ألف سنة، خمسمائة نزوله، وخسمائة صعوده، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، يقول: لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعون في يوم واحد، وقد جاءت بذلك الآثار عن مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم[4].

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري٢٤/ ١٠،ط١: دار هجر ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٢٤).

(٣) أسرار الكون أو الهيئة السَّنِية في الهيئة السُّنِّية :جلال الدين السيوطي. ٣٥ – ٤٠. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١: ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨/ ٥٩٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦/ ٣٠٠).

.....

فائـــدة: جاء في حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ مرفوعًا - وهو المشهور بحديث الأوعال: "إن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة"[(١)]، والأحاديث المروية في كون المسافة بين السماء والأرض وبين السماوات وغلظ كل سماء خمسمائة سنة أكثر وأشهر وهي مروية عن عدد من الصحابة كأبي ذر وابن مسعود وابن عمرو وأبي سعيد وغيرهم، وقد ذكروا في الجمع بين تلك الأحاديث مع التسليم بصحتها أن اختلاف المسافة باعتبار بطء السير وسرعته[(٢)]. وقد ذكر السخاوي في "الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" أن سائلا كتب للحافظ ابن حجر:

يا مَنْ يقولُ النَّثرَ درًا أزهرا والنَّظمَ ياقوتًا توقَّدَ أحمرا
ماذا يصحُّ روايةً ودِرايَةً فيما حكوه مِنَ السَّماء إلى الثّرى

فأجاب:

قد صحَّ خمس مِئن رواه الترمذي وإلى أبي ذرٍّ عزاه مقرَّرا
أو عُشْر سَبع مِئِن وثنتان روى هذا أبو داود فيما حبّرا
والجَمْعُ أنَّ الخمس للسِّير البَطِي والسبع للثاني والأوَّل شهرا

وعُشْر سَبع المئين: سبعون كما لا يخفى، وللسخاوي تنبيه على ما وقع في عزو الحافظ حديث أبي ذر للترمذي من وهم لمن يرغب في الاستزادة[(٣)].

---

(١) سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في الجهمية ٤/ ٢٣١ حديث ٤٧٢٣، وسنن الترمذي - أبواب تفسير القرآن ٥/ ٤٢٤ حديث ٣٣٢٠] وقال: حسن غريب.

(٢) قاله الحافظ في فتح الباري (٦/ ٢٩٣) - دار المعرفة - بيروت.

(٣) ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٢/ ٨٦٨) - لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت: ٩٠٢هـ = ط دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ مضيئًا وقّاداً أي جامعًا للنُّورِ والحرارةِ[1].

هذا، وقد تتبعت الأحاديث المرفوعة الواردة في مقدار المسافة بين السماء والأرض وبين كل سماءين فوجدت أن أكثرها لا يخلو من مقال من حيث الصناعة الحديثية إلا أن أكثر العلماء والمحدثين على قبولها والاستدلال بها، وقد أخرج بعضها الحاكم في مستدركه، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والضياء المقدسي في المختارة، كما صحح عددا منها غيرُ واحد من أجلة العلماء، علما بأنها وردت في موضوعات مختلفة، وبروايات متعددة وهذا مؤذن بأن تقدير هذه المسافة له أصل من السنة لا سيما مع كثرة الآثار الدالة على ذلك أيضا، خلافا لمن ذهب إلى عدم ثبوتها كالمحدث محمد بن محمد درويش أبي عبد الرحمن الحوت البيروتي الشافعي ت: ١٢٧٧هـ حيث قال: (حَدِيث: "السَّمَوَات وَمَا ورد فِيهَا من بَيَان معادنها من فضَّة أَو نُحَاس أَو زبرجد". كل ذلَك يذكر فِي السّير وَلم يَصح من ذَلِك شَيْء، وَلَا مِقْدَار مَا بَين كل سماءين وَلَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض من كَون ذَلِك خَمْسمِائَة سنة أَو ثَمَانِينَ سنة) - والله أعلم - [1].

(١) فسَّر السراج بالمضيء والوهاج بالوقاد ويكون في الآية تنبيه بالسراج على النعمة بضوء الشمس، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهاج على النعمة بحرارتها وما فيها من المصالح[2].

قال ابن الجوزي: "وقال اللغويون: الوهَّاج: الوقَّاد. وقيل: الوهّاج يجمع النّور

(١) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب صـ١٦٤ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت. ط الأولى، سنة ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: تفسير السعدي. صـ٩٠٦.

.....

والحرارة"[١]، وقد فسر بعضهم الوهاج بالمتلألئ، ورجحه ابن عاشور في تفسيره[٢]، مع إقراره بأن الوهاج: أصله الشديد الوَهَج (بفتح الواو وفتح الهاء، ويقال: بفتح الواو وسكون الهاء) وهو الاتقاد استنادًا إلى أن الوصف بـ ﴿وَهَّاجًا﴾ أُجرِي على ﴿سِرَاجًا﴾، أي سراجا شديد الإضاءة، ولا يقال: سراج ملتهب، قلت: لا مانع من ذلك في حق الشمس التي تتميز عن غيرها من السرج على أن الذي عليه الأكثرون أن الوهاج بمعنى الوقاد أو الجامع بين كونه متلألئا ومتقدا قال البيضاوي: "متلألئًا وقاداً من وهجت النار إذا أضاءت، أو بالغًا في الحرارة من الوهج وهو الحر"[٣]، ومن هذا الباب أيضًا التعبير عن الشمس بالضياء والقمر بالنور في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [سورة يونس:٥]، فالشمسُ يستفاد من حرارتها كما يستفاد من ضوئها، وقد كشفَ العلم الحديث عن أنَّ الشمس جسم ملتهبٌ بذاته، بخلاف القمر فنوره من انعكاس الضوء فوق سطحه المعتم[٤].

لطيفة: قال الإمام الرازي: "قال في حق النبي ^ سراجًا ولم يقل: إنه شمس مع أنه أشد إضاءة من السراج لفوائد منها، أن الشمس نورها لا يؤخذ منه شيء والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة فإذا انطفأ الأول يبقى الذي أخذ منه، وكذلك إن غاب ﷺ كان كذلك؛ إذ كل صحابي أخذ منه نور الهداية"[٥].

(١) زاد المسير (٤/ ٣٨٨) - دار الكتاب العربي – بيروت.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٢٤).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٧٩) - دار إحياء التراث العربي.

(٤) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. د.زغلول النجار٢٨٧، دار المعرفة.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ١٧٤).

والمراد الشمس[1] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ أي: السحائب إذا أَعْصَرت[2]،أي:شارَفتْ أن تُعصِرَها الرياح فتمطر[3]

(١) يشير بذلك إلى أن السراج الوهاج يراد به الشمس، وقد جاء التصريح بذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [سورة نوح:١٦].

(٢) السحابة: الغيم والتي يكون عنها المطر، سميت بذلك لانسحابها في الهواء أو لسحب بعضها بعضا، أو لسحب الرياح لها، وتجمع على سحاب، وسُحُب، وسحائب، وقيل: سُحُب: جمع سحاب الذي هو جمع سحابة فيكون جمع جمع، (وسحائب) جمع لذي التاء مطلقا وللمجرد إذا حمل على التأنيث؛ وذلك لأن "سحاب" يذكر ويؤنث[1]،وتفسير المعصرات بالسحائب قول كثير من المفسرين وسميت السحاب بالمعصرات من حيث تغيث؛ لأن السحاب ينعصر، فيخرج منه الماء، فهي من العصرة، ومنه قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾. والعاصر: المغيث، فهو ثلاثي وجاء هنا من أعصر: أي دخلت في حين العصر، فحان لها أن تعصر، وأفعل للدخول في الشيء[2]، والهمزة هنا للحينونة، وتسمى همزة التهيئة[3].

(٣) ومعنى: شارفت أي: قاربت وفسر الآية بذلك؛ لأنه لما كان المراد بالمعصرات السحاب وهي معصورة لا عاصرة ومعصرة، حاول بيان وجه كونها مُعْصِرات التي هي اسم الفاعل وذلك بحمل الهمزة في فعلها

(١) ينظر: تاج العروس لمرتضى الزبيدي - باب الباء الموحدة - فصل السين المهملة - مادة: سحب (٣/ ٤٣) - دار الهداية.

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٠/ ٣٨٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥).

ومنه[١] أَعصرَت الجارية، إذا دنتْ أن تحيضَ[٢]

"أعصر" وهو على وزن "أفعل" على معنى الحينونة وهو المراد بالمشارفة هنا وهذا مشهور في "أَفْعل" كقولهم: أحصد إذا حان وقت حصاده، ونسبة الشيء إلى ما اشتق منه الفعل منتظمة سواء أكان ذلك الشيء فاعلا أم مفعولا فيكون المعنى: وأنزلنا من السحائب ذات إعصار أي: قرب إعصار[١]، وفى وصف السحب بأنها معصرات، إشارة إلى أن الماء الذي تحمله متلبس بها، مندسّ فى كيانها، بل هي في حقيقتها ماء، ووعاء معًا[٢].

(١) أي: من هذا الباب في إطلاق الإعصار بمعنى مقاربته والجارية وإن كانت تطلق على البنت إذا قاربت البلوغ لكن المراد بها هنا مطلق الأنثى[٣].

(٢) أي: قاربت أن تحيض وهناك اختلاف في الأسلوب بين ما في الآية الكريمة وقولهم: أعصرت الجارية؛ لذا لم يجعله الإمامان الزمخشري ثم البيضاوي العمدة في التمثيل بل فصلاه عن المثال الأقرب لأسلوب الإسناد في الآية الكريمة فقال الزمخشري:" كقولك: أجز الزرع، إذا حان له أن يجز. ومنه: أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض"[٤]، وقال البيضاوي: "كقولك: أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد، ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض"[٥]، فأنت ترى أنهما مثلا بـ: "أجز الزرع"أو: أحصد الزرع" ثم قالا: ومنه أي: من هذا الباب بالنظر العام وهذا ما بينه

(١) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٢)، وحاشية القونوي على البيضاوي (٢٠/ ١٥).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ١٦/ ١٤١٧، ط.دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣) ينظر: الإكليل على مدارك التنزيل (٨/ ٤٨٤).

(٤) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٦).

(٥) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٧٩).

أو الرياح[1]؛ لأنها تنشئُ [2] السحابَ وتدرُّ أخلافه.

القونوي حين قال: "أعصرت الجارية: أي: دنت أن تعصر طبيعتُها رحمها فتحيض فالجارية وإن كانت فاعلة لأعصرت لكنها ليست عاصرة ولا معصِرة بل معصور رحمها، وإنما فصله عمَّا قبله؛ لأن ما جعل فاعلًا هنا ليس بفاعل حقيقة كما عرفته من أَن الفاعل هو طبيعة الجارية فيكون مغايرا لما قبله، وأيضًا الفاعل أي: الطبيعة عاصرة لا معصورة بخلاف ما نحن فيه"[1].

(١) معطوف على قوله "السحائب" وهو قول ثانٍ في المراد بالمعصرات، وثمَّ قول ثالث وهو أن المعصرات: السموات، وعزاه الزمخشري للحسن وقتادة[2]، وتأويله: أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، فكأنّ السماوات يعصرن، أي: يحملن على العصر ويمكنّ منه، ولعل الإمام النسفي وافق البيضاوي في إغفال هذا القول لما فيه من التكلف والتعسف

(١) إسناد إنشاء السحاب إلى الرياح على سبيل المجاز، واستعمال الدّر والإدرار وهو إسالة الدر – اللبن – في نزول المطر استعارة، وكذا الأَخْلاف جمع: خِلْف بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام، وهو ضرع الناقة مستعار لما يشبهه في السحاب[3].

(١) حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي (٢٠/ ١٥).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٦).

(٣) حاشية القونوي (٢٠/ ١٦).

فيصح أن يجعل مبدأ للإنزال[١] وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب[٢]

(١) هذا الكلام جواب عن سؤال: كيف جاز أن تُفسَّر المعصرات بالرياح وهي ليست مبدأً لإنزال الماء بل المبدأ لإنزاله السحاب والجواب: أن الرياح كالمبدأ الفاعل للإنزال فصح استعمال ﴿مِنَ﴾ الابتدائية على بابها هنا وذلك على اعتبار أن المطر إنما ينزل من السحاب، والسحاب إنما يثيره الرياح، فيتكون وينشأ ويحمل المطر بهبوب تلك الرياح فصح أن يقال هذا المطر إنما حصل من تلك الرياح، كما يقال: هذا من فلان، أي من جهته وهناك من وجَّه ذلك باعتبار أن ﴿مِنَ﴾ هاهنا بمعنى الباء أي: بالمعصرات وقرئ به في الشواذ[١].

(٢) ثبت ذلك عن عبد الله بن مسعود أخرجه عنه الشافعي في مسنده والطبري في تفسيره والطبراني في المعجم الكبير من طرق عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود Δ قال: "إن الله يُرْسل الرياح فَتَحْمِل الماءَ من السماء ثم تَمر في السَّحاب حتى يَدُرَّ كما تَدِرُّ اللِّقْحَةُ ثم تُمْطَر"[٢]، وثبت أيضًا عن ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن عباس قال: "يرسل الله الريح فتحمل الماء من السحاب فيمر به

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ١١)، وحاشية الشهاب (٨/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ١/ ١٧٠ ح٤٩٣: دار الكتب العلمية، بيروت، والطبري في تفسيره (١٤/ ٤٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٢٣ ح ٩٠٨٠ - مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

قال ابن الأثير: (اللِّقحة بالكسر والفتح: الناقة القريبة العهد بالنتاج، ودر اللقحة نزول اللبن منها) والعزالِي، والعزالَى: جمع عزلاء: والمراد بها مصب الماء من الراوية ونحوها [النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٦٢) - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، والقاموس المحيط. باب اللام. فصل العين. مادة: عزل صـ ١٠٣١. مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الثامنة].

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ منصبًا [1] بكثرة [2]

السحاب فتدر كما تدر الناقة، وثجاج مثل العزالي غير أنه متفرق"[1].

(١) تفسير الثجاج بالمنصب إشارة إلى أن الثجاج من "ثَجَّ" اللازم فإنه الأكثر في الاستعمال يقال: ثجَّ الماءُ إذا سال بكثرة، أو انصب بقوة، فهو منصب والثج كالصب يستعمل متعديا ولازمًا فيقال: ثجه أي: أساله إذا صب الماء، ويكون حينئذ فعلًا متعديًا، ومن قال به هنا فلأن الماء المنزل لكثرته كأنه يصب نفسه.

(٢) الكثرة حاصلة إما من التعبير بالثج عند من يفسره بالصب الكثير ويرى أن الكثرة من معاني الثج وأوصافه وهو قول كثير من المفسرين، وإما من صيغة المبالغة "فعَّال" في ﴿ثَجَّاجًا﴾ على التسليم بأن الثج في نفسه لا يدل على الكثرة كما ذهب إليه الطبري بقوله: "ولا يعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثج، وإنما الثج: الصب المتتابع"[2]، ووافقه النحاس في إعراب القرآن[3]، ويعكر على ذلك - كما ذكر الحافظ ابن كثير - حديث المرأة المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: "أنعت لك الكرسف" - يعني: أن تحتشي بالقطن - : قالت: يا رسول الله، هو أكثر من ذلك، إنما أثج ثجًا[4]. =

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦١ ح ٢٢٦ :ط٣، نزار مصطفى الباز ، وتدلِيس الحكم بن عتيبة لا يضر لأنه من مدلسي الطبقة الثانية الذين احتمل الأئمة تدليسهم على ما ذكره الحافظ ابن حجر في طبقات المدلسين ٣٠، مكتبة المنار، عمان،ط١: ١٤٠٣ = ١٩٨٣ م.

(٢) جامع البيان للطبري (٢٤/ ١٥).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٨٠).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطهارة - بَابُ مَنْ قَالَ إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ تَدَعُ الصَّلَاةَ (١/ ٧٦ ح ٢٨٧ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت)، والترمذي في سننه - أبواب الطهارة - بَابٌ فِي الْمُسْتَحَاضَةِ أَنَّهَا تَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ [١/ ٢٢١ ح

﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥﴾ ﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ﴾ بالماء[١]

قال ابن كثير: "وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير، والله أعلم"[١]، وعلى كل حال فعبارات المفسرين في تفسير الثجاج غير متعارضة بل كما قال القرطبي: "والمعنى واحد"[٢]، وقد أحسن الإمام الرازي حين قال: "وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به"[٣].

فائـــدة: لا ينافي الكثرة التعبير بالمعصرات إذ ظاهره أنه بالعصر وهو لا يحصل منه إلّا القليل لأن ذلك غير مُسَلَّم، ويكون أصل التعبير مقطوعًا عنه النظر في ذلك ولو سُلِّم فالقلة نسبية[٤].

(١) أي: أن الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ يعود على ذلك الماء الموصوف بالثجاج في الآية السابقة، وقد جاء في وصفه في سورة "ق" بالمبارك قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ ق: ٩.

فائـــدة: قال ابن عاشور: "جيء بفعل ﴿لِّنُخۡرِجَ﴾ دون نحو: لننبت؛ لأن المقصود الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام ألا ترى أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة "ق" هو الامتنان جيء بفعل «أنبتنا» في قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ

١٢٨، ط٢: البابي الحلبي، مصر، قال الترمذي عقب الحديث: حديث حسن صحيح، ونقل عن البخاري تحسينه لهذا الحديث، ونقل تصحيحه عن الإمام أحمد.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٠٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ١٧٣).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ١١).

(٤) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٣)، وروح المعاني الألوسي (١٥/ ٢١٠).

﴿حَبًّا﴾ كالبُرِّ والشَّعير[1]

مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ [ق: ٩] الآية. ثم أتبع ثانيًا بالاستدلال به على البعث بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾[ق: ١١]. والبعث خروج من الأرض قال تعالى: ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾في سورة طه [٥٥]"[1].

(١) يقصد بذلك أن الحب ما يتقوت به، أو ما يحصد، قال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ والحب: اسم جمع حبة، قال الزجاج: "كل ما حصد فهو حَبٌّ، وكل ما أكلته الماشية من الكلأ فهو نَبَات"[2]، وقال الإمام الرازي: "كل شيء نبت من الأرض فإما أن لا يكون له ساق وإما أن يكون، فإن لم يكن له ساق فإما أن يكون له أكمام وهو الحب وإما أن لا يكون له أكمام وهو الحشيش وهو المراد هاهنا بقوله: ﴿وَنَبَاتًا﴾ وإلى هذين القسمين الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ﴾ [طه: ٥٤] وأما الذي له ساق فهو الشجر فإذا اجتمع منها شيء كثير سميت جنة، فثبت بالدليل العقلي انحصار ما ينبت في الأرض في هذه الأقسام الثلاثة، وإنما قدم الله تعالى الحب لأنه هو الأصل في الغذاء، وإنما ثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات إليه، وإنما أخر الجنات في الذكر لأن الحاجة إلى الفواكه ليست ضرورية"[3].

وثمَّ أقوال أخرى في تفسير الحب والنبات كالقول بأن الحب هو اللؤلؤ، والنبات: العشب، قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبتت في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة.

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٧).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٢).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ١١).

﴿وَنَبَاتًا﴾ وكلأً[١] ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتين[٢]

وقيل: إن الحب ما بذره الآدميّون، والنبات ما لم يبذروه[١].

وقال ابن كثير: "﴿حَبًّا﴾: يدخر للأناسي والأنعام، ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: خضرًا يؤكل رطبًا"[٢].

(١) الكَلأُ: بالهمزِ والقصرِ مَا يُرْعَى. وَقِيلَ: الكَلأُ العُشْبُ رَطْبُه ويابِسُه، وَهُوَ اسْمٌ لِلنَّوْعِ، ولَا واحِدَ لَهُ[٣]. والنبات أصله اسم مصدر نبت الزرع، وإطلاق النَبات على النابت من إطلاق المصدر على الفاعل والمراد به هنا: النبات الذي لا يؤكل حبه بل الذي ينتفع بذاته وهو ما تأكله الأنعام والدواب مثل التبن والحشيش وغير ذلك[٤].

(٢) هذا تفسير للجنات بمعناها اللغوي لا الشرعي؛ لأنه المناسب للمقام والجنات جمع جنة، والجنة في الأصل فَعْلَة من جَنَّه إذا ستره نقلوه للمكان الذي تكاثرت أشجاره والتف بعضها ببعض حتى كثر ظلها فهي كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض. وهي هنا على تقدير مضاف، أي نخل جنات أو شجر جنات أو ثمر جنات، والامتنان بذكر الجنات ظاهر فإنها من وسائل التنعم والترفه عند البشر قاطبة فإن الإنسان مجبول على حب المناظر الجميلة والميل لما يقاربه في الخلقة، وفي الشجر جمال الشكل واللون وفيه أنس للنفوس لأن فيه حياة فناسب النفوس مثل التأنس بالحيوانات التي قال تعالى فيها: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ النحل: ٦ ففي مناظر الأشجار ما يفوق مناظر ما لا حياة فيه كالقصور والرياش[٥].

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٦/ ١٨٤). دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٠٤).

(٣) ينظر: لسان العرب. حرف الألف. فصل الكاف. مادة: كلأ (١/ ١٤٨).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٧).

(٥) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٢١٠)، والتحرير والتنوير (١/ ٣٥٣).

﴿ أَلْفَافًا ﴾ ملتفة الأشجار[(١)] واحدها لِف كجِذْع وأجذاع[(٢)] ولفيف كشريف وأشراف[(٣)] أو لا واحدَ له[(٤)] .

---

(١) قال ابن عاشور: "وصف الجنات بـ"ألفافًا" مبني على المجاز العقلي لأن الالتفاف في أشجارها ولكن لما كانت الأشجار لا يلتف بعضها على بعض في الغالب إلا إذا جمعتها جنة. أسند "ألفافًا" إلى جنات بطريق الوصف، ولعله من مبتكرات القرآن إذ لم أر شاهدًا عليه من كلام العرب قبل القرآن "[(١)].

(٢) نسبه ابن عطية في تفسيره لجمهور اللغويين[(٢)]، واللِّف بمعنى الملفوف صفة مشبهة وفِعْل يجمع على أفعال باطراد لكن "لِفّ" بالإفراد غير مشهور في الاستعمال[(٣)]، وقد أتوا عليه بشاهد للحسن بن علي الطوسي:

جنّة لِفّ وعيش مغدق وندامى كلّهم بيض زهر

يعنى: أن ندماءه خيار حسان الخصال. أو بيض حسان الوجوه[(٤)].

(٣) وهو قول الكسائي، و"لفيف" بمعنى ملفوف و"فَعيل" يجمع على "أفعال" وهو معروف كما مثل له بشريف وشرفاء.

(٤) فـ "ألفافا" على هذا القول اسم يدل على الجمع ولا واحد له من لفظه وهو الذي رجحه الزمخشري[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٧).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٥).

(٣) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٣).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٧).

(٥) ينظر: المرجع السابق.

كأوزاع[١] أو هي جمعُ الجمعِ فهي جمع لُف واللُف جمعُ لفَّاء[٢]

(١) أوزاع أي: جماعات متفرقة يقال: أتيتهم وهم أوزاع أي متفرقون، وأصله من التوزيع وهو الانقسام وفي حديث عبد الرحمن بن عبدٍ القاري، أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون..."[١] وقوله في الرواية: "متفرقون" تأكيد لفظي[٢].

(٢) "لف" بضم اللام وكسرها[٣]، وفي القاموس المحيط: "والأَلْفافُ: الأشجارُ المُلْتَفَّةُ، واحدُها: لِفٌّ، بالكسر والفتح، أو بالضم: التي هي جمعُ لَفَّاءَ، فيكونُ الأَلْفافُ: جج" أي: جمع الجمع[٤].

والقول بأن ﴿أَلْفَافًا﴾ جمع الجمع على وزن أفعال قول ابن قتيبة، واعترض عليه من وجهين:

الوجه الأول: ذكره الطبري والتمس له وجهًا فقال في تفسيره: "اللفاء: هي الغليظة، وليس الالتفاف الذي يدل عليه ألفافا من الغلظ في شيء، إلا أن يوجه إلى أنه غلظ الالتفاف، فيكون ذلك حينئذ وجهًا"[٥]

والوجه الآخر ذكره الزمخشري في كشافه فقال:"وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار"[٦]، وتعقبه السمين الحلبي فقال: "كأنه يستبعد هذا القول من حيث إن نظائره لا تجمع

(١) قاله الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٥ و٤/ ٢٥٢).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب صلاة التروايح، باب فضل من قام رمضان.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٤٤٥).

(٤) القاموس المحيط. باب الفاء. فصل اللام- مادة: لفَّ. ٨٥٣.

(٥) جامع البيان(٢٤/ ١٨).

(٦) الكشاف (٤/ ٦٨٧).

وهي شجرةٌ مجتمعة، ولا وقفَ من ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ إلى ﴿أَلْفَافًا﴾[1]

على أفعال؛ إذ لا يقال: خضر وأخضار، ولا حمر وأحمار، وإن كانا جمعين لأخضر وخضراء، وأحمر وحمراء، وهذا غير لازم؛ لأن جمع الجمع لا ينقاس، ويكفي أن يكون له نظير في المفردات"[1]، قلت: ما ذكره من أن جمع الجمع لا ينقاس مسألة فيها تفصيل، وقد قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن: "جمع الجمع مقيس عند الحاجة"[2].

(١) يحمل كلامه على الوقف التام ويكون التقدير: "ولا وقف تام" كما عليه أئمة هذا الفن كأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، وأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) وغيرهما من التنصيص على أن الوقف على: ﴿أَلْفَافًا﴾ هو الوقف التام، وذلك لأن الآيات من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ معطوف بعضها على بعض متصلة في معناها ومقصودها حيث وردت في مقام الاستدلال على قدرة الله على البعث والنشور، لكن لا يمنع هذا من أن الوقف على رؤوس هذه الآيات منه ما هو حسن وذلك في الآيات التي عطف بعضها على بعض مع اتحاد الفعل فكانت بمثابة الجملة الواحدة، ومنه ما هو كافٍ وذلك في الآيات التي استقلت بأفعال فكان عطفها من قبيل عطف الجمل، وقد أجاد الإمام أبو جعفر النحاس حين قال: " ﴿مِهَادًا﴾ ليس بقطع كاف لأن ﴿وَالْجِبَالَ﴾ معطوف على الأرض وإن شئت وقفت على ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ واستأنفت ما بعده والفرق بينه وبين الأول ـ وإن كانا معطوفين ـ أن الثاني

(١) الدر المصون (١٠/ ٦٥١). دار القلم – دمشق.

(٢) ينظر: في تفصيل المسألة: [همع الهوامع للسيوطي (٣/ ٣٧٣). المكتبة التوفيقية، مصر، والنحو الوافي (٤/ ٦٢٧) تأليف: عباس حسن، ط١٥ دار المعارف .

والوقفُ الضروريُّ على ﴿أَوْتَادًا﴾﴿مَعَاشًا﴾[١].

جملة وكذا رؤوس الآيات بعده إلى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ فإنه ليس بقطع كاف لأن بعده لام كي والتمام ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾"[١].

فائـــدة: ماذكره الأشموني من أن "الوقف على أوتاداً وأزواجًا وسباتًا ومعاشًا وشداداً ووهاجًا كلها وقوف حسان" يحمل على أنها وقوف كافية؛ ولذا قال بعدها: "وأما ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ فقال: "ليس بوقف" وذلك لأنَّ ما بعده ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ متعلق به عائد عليه، وقال: " ولا يوقف على: ﴿وَنَبَاتًا﴾ لعطف ما بعده على ما قبله" مع أن كلا منهما رأس آية والوقف عليه حسن؛ لأنهما غير كافيين لتعلقهما بما بعدهما وعدم استقلالهما من حيث المعنى والمقصد ولهذا السبب لم يذكر ﴿ مِهَٰدًا ﴾، ولا ﴿لِبَاسًا﴾ مع رؤوس الآي الأخرى لأن ما بعدهما تعلق بهما لفظا ومعنى[٢].

(١) يحمل كلامه في الوقف الاضطراري على ما دون التام، وذلك لأن الوقف على ﴿ أَوْتَادًا ﴾، ﴿مَعَاشًا﴾ من قبيل الوقف الكافي الذي تم معناها بنفسه، ولم يتعلق بما بعده لفظا، وإنما تعلق بما بعده من حيث المعنى ألا ترى أن الآية بعد ﴿ أَوْتَادًا ﴾ هي قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ مستقلة إعرابا، وغير مفتقرة إلى ما قبلها وفيها استئناف لمظهر آخر من مظاهر قدرة الله على البعث، وعظيم امتنانه على عباده، وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾.

---

(١) القطع والائتناف لأبي جعفر النَّحَّاس٨٧١. ط١ : دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية.

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٩٦٢) لأبي بكر الأنباري – الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتدا لأحمد بن عبد الكريم الأشموني (٢/ ٣٨٧)ط. دار الحديث، القاهرة، مصر: ٢٠٠٨ م.

من أوصاف يوم القيامة وأماراته :

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ بين المحسنِ والمسيءِ والمُحِقِّ والمُبطلِ (١)

وأما الوقف الاضطراري - كما هو معروف لدى علماء التجويد والقراءات - فهو الذي يعرض للقارىء بسبب ضرورة ألجأته إلى الوقف كضيق النفس أو العطاس أو العيّ أو النيسان وما إلى ذلك وحينئذ يجوز له الوقف على أي كلمة كانت وإن لم يتم المعنى وبعد ذهاب هذه الضرورة التي ألجأته إلى الوقف على هذه الكلمة يبتدىء منها ويصلها بما بعدها إن صلح البدء بها وإلا فيبتدىء بما قبلها بما يصلح البدء به(١).

(١) يقصد بذلك أن يبين سبب تسمية يوم القيامة بيوم الفصل، وأن ذلك راجع إلى أنه يومٌ يفصل فيه رب العباد بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل بالجزاء بالثواب والعقاب كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الحج: ١٧]، وقيل سمي بذلك لأنه يوم القضاء، وقد تكرر في القرآن تسمية هذا اليوم بيوم الفصل كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

---

(١) ينظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (١/ ٣٦٨) للشيخ/ عبد الفتاح المرصفي - مكتبة طيبة، المدينة المنورة - الطبعة: الثانية.

﴿ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾ وقتًا محدوداً[١] ومنتهى معلومًا لوقوع الجزاء[٢] أو ميعاداً للثواب والعقاب[٣] ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ ﴾ بدل من[٤]

(١) وذلك لأن الميقات أخص من الوقت، فهو الوقت المحدود كالميعاد والميلاد لتوقيت زماني الوعد والولادة[١].

(٢) اقتصر الإمام النسفي في عبارته على بيان أن الميقات منتهى معلوم ليوم الجزاء دون أن يقيد ذلك بانتهاء الدنيا كما هي عبارة الزمخشري، والبيضاوي حيث إنهما قالا: "حدًّا توقت به الدنيا وتنتهي عنده"[٢].
وقد تُعقِّب عليهما بأنَّ الدنيا تنتهي عند النفخة الأولى، فلا يحسن جعل يوم الفصل ميقاتًا له[٣].

(٣) أي: أن قوله: ﴿ مِيقَٰتًا ﴾ بمعنى ميعاداً لبعثِ الأولينَ والآخرينَ وما يترتبُ عليهِ من الجزاءِ ثوابًا وعقابًا لا يكادُ يتخطاهُ بالتقدمِ والتأخرِ وهذا القول ذكره الرازي بينما لم يذكره الزمخشري، ولا البَيضاوي، وقد رجحه أبو السعود والألوسي استنادا إلى أنه أوفق بالمقام[٤].

(٤) البدل هو: التابع المقصود بالنسبة بلا واسطة، فقوله: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ ﴾ بدل من ﴿ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾، ونوعه بدل الكل؛ لأن المراد بالنفخ النفخة الثانية، ولا ضيرَ في تأخرِ الفصلِ عن النفخِ فإنَّه زمانٌ ممتدٌّ يقعُ في مبدئه النفخةُ وفي بقيته الفصلُ ومباديه وآثارُه، وفائدة هذا البدل حصول التفصيل لبعض أحوال الفصل وبعض أهوال يوم الفصل. وأجاز أبو البقاء – أن يكون قوله: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ ﴾ بدلًا من ﴿ مِيقَٰتًا ﴾[٥].

(١) حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٤).
(٢) الكشاف (٤/ ٦٨٧)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٧٩).
(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ٣٢٧).
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ٣١/ ١٢، وإرشاد العقل السليم ٩/ ٨٠، وروح المعاني ١٥/ ٢١١.
(٥) ينظر في تعريف البدل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/ ٢٤٧) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢٠: دار التراث – القاهرة ١٤٠٠هـ =

﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أو عطفُ بيانٍ[1] ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ في القرن[2]

(١) عطف البيان هو: التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله وعلى هذا القول فقوله تعالى:﴿ يَوْمَ يُنفَخُ ﴾ عطف بيان ليوم الفصل لزيادة توضيح مع تهويل، وعلى هذين القولين أعني البدلية وعطف البيان اقتصر أكثر المفسرين، ومنهم من ذكر أوجها أخرى فقيل: إنه منصوب بفعل مضمر تقديره "أعني"، وقيل: خبر ثانٍ لـ﴿ كَانَ﴾[1].

(٢) تفسير الصور بالقرن قول جمهور المفسرين قال ابن عطية: "هذا قول الجمهور، .... وبه تظاهرت الآثار، وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ [الزمر: ٦٨] "[2] قلت: من هذه الآثار حديث ابن عمرو مرفوعًا إلى النبي ﷺ : "الصور قرن ينفخ فيه"[3].

١٩٨٠م، وينظر في الإعراب: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٦٦) لأبي البقاء العكبري، ط. عيسى البابي الحلبي، وإرشاد العقل السليم (٩/ ٩٨)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٣٠).

(١) ينظر في تعريف عطف البيان: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/ ٢١٨)، وينظر في الإعراب: الدر المصون في علوم الكتاب المبين (١٠/ ٦٥٤)، والتفسير المظهري محمد ثناء الله المظهري (١٠/ ١٧٣)مكتبة الرشدية – الباكستان.

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب السنة – باب في ذكر البعث والصور [(٤/ ٢٣٦) ح ٤٧٤٢]، والترمذي في سننه – أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ- بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصُّورِ [(٤/ ٦٢٠) ح ٢٤٣٠] وقال الترمذي: هذا حديث حسن، والحاكم في المستدرك [٢/ ٤٧٣ ح ٣٦٣١ – دار الكتب العلمية – بيروت] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ حالٌ[١] جماعات مختلفة[٢] أو أممًا كل أمة مع رسولها[٣].

(١) حال منصوبة، وصاحب الحال "الواو" في: ﴿فَتَأْتُونَ﴾.

(٢) أي: جماعاتٍ كثيرة زمرًا زمرًا من كل مكان للحساب مختلفةَ الأحوالِ متباينةَ الأوضاعِ حسبَ اختلافِ الأعمالِ وتباينِها، والأفواج: جمع فوج، والمعنى المحوري لهذه الكلمة كما ذكر د/ جبل فقال: "تجمع منفصل عن تجمع غيره بقوة وانتشار"[١].

تنبيـــه: أعرض الإمام النسفي عن ذكر الحديث المرفوع الذي أورده الزمخشري والبيضاوي وسبقهما إليه الثعلبي في كيفيات قبيحة لعشرة أصناف يبعثون عليها، وبيان سبب تلك الكيفية وحُقَّ له فهو حديث موضوع[٢].

(٣) قال الزجاج: "أي تأتي كل أمة مع إمَامِهِم"[٣]، وقال الطبري: "وإنما قيل:﴿ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ: ١٨] لأن كل أمة أرسل الله إليها رسولا تأتي مع الذي أرسل إليها،كما قال ﷻ:﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] "[٤].

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١٦٣٤).

(٢) ينظر: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٥/ ١٧٠) - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : بيروت لبنان، وذيل اللاليء المصنوعة (٢/ ٦٤٦) للسيوطي، ط٣ مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية .

(٣) معاني القرآن (٥/ ٢٧٢).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ١٩).

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩﴾ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ خفيف كوفي[1]: أي شقت لنزول الملائكة[2] ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ فصارت[3]

(١) يقصد بذلك أن قوله: ﴿وَفُتِحَتِ﴾ قرأه بتخفيف التاء الكوفيون وهم عاصم، وحمزة، والكسائي من السبعة، ومعهم خلف من العشرة، وأما بقية القراء العشرة فقراءتهم بتشديد التاء في "وَفُتِّحَتِ" وفيها معنى تكثير الفعل[1].

(٢) يشير بذلك إلى أنَّ المراد بفتح السماء التشقق كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلٗا﴾ [سورة الفرقان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [سورة الانشقاق: ١]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [سورة الانفطار: ١]، والفرق بين الانفطار والانشقاق على ما ذكره بعضهم أنَّ الانفطار الشق الأول، والشق يقال للخرق الواسع في الشيء[2]، فكأن الانفطار تصوير لبداية التغير الواقع للسماء يوم القيامة يليه الانشقاق ثم الفتح وفي التعبير بالفتح عن التشقيق "إشارة إلى كمال قدرته حتى كان تشقق هذا الجرم العظيم كفتح الباب بسهولة وسرعة وهو معطوف على قوله: "فتأتون" ولا مخالفة بينهما لأنّ المراد تفتح وعبر الماضي لتحققه"[3].

(٣) تفسير ﴿فَكَانَتۡ﴾ بمعنى صارت التي تدل على الانتقال والتحول من حال إلى أخرى معروف في اللغة وقد نص ابن مالك على مجيء "كان" بمعنى صار[4].

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري٢/ ٣٦٤،ط. التجارية الكبرى.
(٢) ينظر: عمدة الحفاظ(٢/ ٢٨٠)، وتاج العروس (فطر) ١٣/ ٣٢٥.
(٣) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ٣٠٤).
(٤) ينظر: شرح التسهيل (١/ ٣٤٤) – دار هجر.

ذات أبواب[١] وطُرُقٍ وفُرُوج[٢]، وما لها اليومَ من فُروجٍ[٣] ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن وَجْهِ الأرضِ[٤]

(١) يشير بذلك إلى أن الكلام على تقدير مضاف أي: فصارت ذات أبواب، بناء على أن السماء بالتشقق لا تصير أبوابا حقيقة، ويمكن أن يقال:إن الكلام على التشبيه البليغ أي: فصارت شقوقها لسعتها كالأبواب أو فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب[١].

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [سورة المرسلات. الآية: ٩].

(٣) أي: في الدنيا، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ سورة ق الآية: ٦، وقوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ سورة الملك الآية: ٣ .

(٤) قوله: "عن وجه الأرض" متعلق بـ: "سيرت" بتضمين معنى أزيلت أو بمعنى أزيلت مجازا؛ لأنه لازم للتسيير، والأول أولى[٢]، وقد جمع الله بين تسيير الجبال وبروز الأرض فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، وقد قال ابن الجوزي: "سُيِّرَتْ عن وجه الأرض، واستوت مع الأرض"[٣].

فائـــدة : حاول بعض المفسرين الجمع بين الآيات التي تحدثت عن أحوال الجبال يوم القيامة والوقوف على مراحلها فذكر الإمام الرازي أنها تمر بست مراحل: (الاندكاك ثم تصير كالعهن المنفوش ثم تصير كالهباء ثم تنسف ثم ترفعها الرياح عن وجه الأرض فتطيرها شعاعًا في الهواء كأنها غبار ثم تصير سرابا بمعنى لا شيء)[٤].

(١) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٤)، وروح المعاني (١٥/ ٢١٢).

(٢) قاله القونوي في حاشيته (٢٠/ ١٠٩).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٤٠٦).

(٤) مفاتيح الغيب للإمام الرازي (٣١/ ١١).

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: هَبَاءً[1] تُخَيِّلُ الشمسُ أنه ماءٌ[2]

(١) أصل الهباء: الغبار وقد فسره النسفي بذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ سورة الواقعة: ٦، وقيل: الهباء: التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقا وقيل: هو غبار شبه الدخان ساطع في الهواء[1].

(٢) يشير بذلك إلى أنها في معنى قوله ﷻ: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ سورة الواقعة: ٥ - ٦ وهو ما صرح به الزمخشري حين قال: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كقوله: ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ يعنى أنها تصير شيئا كلا شيء، لتفرّق أجزائها وانبثات جواهرها"[2]، وقال مكي بن أبي طالب: " أي: صارت لا شيء، كما أن السراب لا شيء، وذلك أنها تنسف فَتُجْتَثُّ من أصولها فتصير هباء منبثًا لعين الناظر كالسراب الذي يظنه الناظر ماء وهو في الحقيقة ليس بماء إنما هو هباء"[3]. وذلك أن أصل السراب كما يقول الزمخشري[4]، ثم النسفي[5]: ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة. يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى"، والذي يرى في ضوء الشمس هو ذلك الغبار الذي يقال له الهباء،والذي صرَّح به بعض المفسرين كابن عطية أن قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة

(١) ينظر: لسان العرب (هبا) ١٥/ ٣٥٠.
(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٧).
(٣) الهداية لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٧٩٩٤).
(٤) الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٤٣) .
(٥) تفسير النسفي (٢/ ٥٠٩).

عن تلاشيها وفنائها بعد كونها هباءً منبثًا"[١]، ويمكن أن يقال: إن الجبال كما ذكر محيي الدين شيخ زادة: "تتقطع وتتبدد فتصير هباء منبثا مع استقرارها في مواضعها ثم تنسف وتقلع من مواضعها ثم ترفعها الرياح عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء كأنها غبار"[٢]، وعليه فلا إشكال في التعبير عنها بالهباء في الموضعين أعني قبل نسفها وبعده وسواء قلنا: إن السراب أريد به الهباء المنبث أو أنه حالة بعده تذهب فيها الجبال بالكلية فلا عين ولا أثر كما عبر الحافظ ابن كثير[٣]، وعدَّه الماوردي وجهًا مستقلًا[٤] فالآية من قبيل التشبيه البليغ، وقوله ﴿فَكَانَتْ﴾ بمعنى صارت والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع وقد أجاد الألوسي في بيان وجه الشبه على الوجهين حين قال: "والجامعُ أنَّ كلّا من الجبال والسراب يرى على كلّ شيء وليس هو بذلك الشيء، وجُوِّزَ أن يكون وجه الشبه التخلخل إذ تكون بعد تسييرها غبارا منتشرًا كما قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝﴾ سورة الواقعة"[٥].

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٥).

(٢) حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي (٤/ ٦٠٧) - دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٠٥).

(٤) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٦/ ١٨٥).

(٥) تفسير الآلوسي (١٥/ ٢١٣).

حال الأشقياء في الآخرة : "جزاء الطاغين":

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ : طَرِيقًا عليه مَمَرُّ الخَلْقِ فالمؤمنُ يمرُّ عليها والكافرُ يدخلها[1]

---

(١) تفسير المرصاد بمطلق الطريق المُعَدِّ للطائفتين يمرُّ عليه المؤمنون ويدخله الكافرون يؤيده أنَّ الصراط منصوب على جهنم.

وقد أخرج الطبري في تفسيره بسند حسن عن الحسن البصري أنه كان إذا تلا هذه الآية قال: "ألا إن على الباب الرصد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز احتبس"[1]، وأخرج عن قتادة بإسناد حسن أيضا قال: "يعلمنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يقطع النار"، ويشهد لذلك أحاديث الصراط ومنها قوله ﷺ : "ويُضرَبُ الصراطُ بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أولَ من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوكِ السَّعْدان، هل رأيتم السعدان؟"، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: "فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بقي بعمله - أو الموثق بعمله - ومنهم المخردل، أو المجازى..."، ولمسلم "حتى يُنَجَّى"[2].

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة] (٩/ ١٢٨ حديث ٧٤٣٧، ومسلم في صحيحه. كتاب الإيمان. باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣ حديث ٢٩٩ - دار إحياء التراث العربي - بيروت من حديث أبي هريرة ﷺ].

وقيل: المرصادُ الحَدُّ الذي يكونُ فيه الرَّصَد[١] أي: هي حَدُّ الطاغِين الذين يُرصَدون فيه للعذاب وهي مآبهم[٢].

ولعل هذه الآثارَ كانت سببًا في تقديم النسفي هذا القول جازما به، ولم يتابع الزمخشري في تأخيره لهذا القول، وعلى هذا القول يكون قوله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] كلاما تاما، وقوله: للطاغين مآبا كلام مبتدأ كأنه قيل إن جهنم مرصاد للكل، ومآب للطاغين خاصة أفاده الإمام الرازي[١]، لكن قال العلامة أبو السعود: "ولا يَخْفى بُعدُه فإنَّ المتبادرَ من كونِها مرصاداً لطائفةٍ كونُهم معذبينَ بَها"[٢].

(١) الرَّصَد: جمع راصد، وهم الحراس. والرصد: القوم يَرْصُدُون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع"، ومنه قوله: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [سورة الجن: ٢٧][٣].

(٢) وعلى ذلك فـ ﴿ مِرْصَادًا ﴾ بمعنى موضع الرصد فتكون اسم مكان من الرصد بمعنى الرقابة، وهو بوزن مفعال الذي غلب في اسم آلة الفعل مثل مِضمَار للموضع الذي تُضْمَر فيه الخيلُ، ومِنْهاج للمكان الذي يُنْهَج فيه، أو أن ﴿ مِرْصَادًا ﴾ صيغة مبالغة تعني أن جهنم مُعِدَّةٌ في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد وعلى كلٍّ فـ ﴿ مِرْصَادًا ﴾ على هذا خاصة بالطاغين فيكون قوله: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ من تمام ما قبله[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٥).

(٢) تفسير أبي السعود (٩/ ٩٠).

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري (رصد)٢/ ٤٧٤ .

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ١٤ - ١٥) - حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٥).

أو هي مِرْصادٌ لأهل الجنة تَرْصُدُهم الملائكةُ الذين يستقبلونهم عندها لأنَّ مجازهم عليها[1] ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ للكافرين[2] مرجعًا[3]

(١) أي: مرورهم عليها وعلى هذا فيكون الوقف على قوله تعالى: ﴿مِرْصَادًا﴾ وقفًا تامًا، وما بعده جملة مستأنفة، لكن يعكر عليه أن الترصد في مثل ذلك المكان الهائل إنما هو للتعذيب وهو للكفار والأشقياء والمقام أولى بالطاغين[1].

(٢) تفسير الطاغين بالكفار يدل عليه سياق الآيات الكريمة قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ وهذا لا يكون إلا من الكفار كما لا يخفي، وأكثر المفسرين فسروا الطاغين هنا بذلك. وأصل الطغيان مجاوزة الحد في كل شيء، وغلب في تزايد العصيان قاله السمين الحلبي[2].

(٣) تفسير المآب بالمرجع ذكره كثير من المفسرين، وربما قالوا: المأوى والمنزل، وقد بين الله نوع هذا المآب وصفته في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [سورة ص: ٥٥]، وأصل المآب من الأوب وهو كما قال الراغب: "ضرب من الرجوع، وذلك أنّ الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع يقال فيه وفي غيره"، وهو هنا مصدر ميمي، والتعبير به دون الإياب لأن المآب يعني نهاية الأوب، وأما الإياب فإنه الرجوع ولا يعني منتهى الأوب[3].

(١) ينظر: روح البيان للشيخ إسماعيل حقي(١٠/ ٣٠٢) - دار الفكر - بيروت.
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/ ٤٠٦).
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٩٧ - دار القلم - دمشق، ومعاني الأبنية في العربية ٣٢.

﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾ ﴿ لَّٰبِثِينَ ﴾ ماكثين حال مقدرة[١] من الضمير في ﴿ لِّلطَّٰغِينَ ﴾[٢] حمزة (لَّٰبِثِينَ﴾[٣] واللبث أقوى؛ إذ اللابث من وجد منه اللبث وإن قل واللَّبِث مَنْ شأْنُه اللبث والمقام في المكان[٤]

(١) الحال: وصف فضلة مسوق لبيان هيئة صاحبه أو تأكيده أو تأكيد عامله أو تأكيد الجملة قبله وتنقسم إلى أقسام منها الحال المقدرة وهي المستقبلة أي: التي وجودها متأخر في الخارج عن وجود عاملها[١]، فهنا اللبث أحقابا يكون بعد دخولها إياهم، وجعلها مآبا لهم وعليه فالمعنى مقدرين اللبث فيها، ومن الأمثلة على ذلك أيضا: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ والخلود يكون بعد الدخول لا معه، ومنه: ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا﴾ والجبل لا يكون بيتا حال النحت وإنما بعد ذلك.

(٢) وذلك لأن الطاغين اسم فاعل فيه ضمير للطاغين هم حال كونهم لابثين فيها أحقابًا.

(٣) قرأ حمزة (لَّٰبِثِينَ﴾ بدون ألف، وقرأ بقية القراء السبعة بإثبات الألف ﴿ لَّٰبِثِينَ ﴾، وهي أيضًا قراءة بقية القراء العشرة باستثناء رواية روح عن يعقوب فإنه قرأها بلا ألف كقراءة حمزة[٢].

(٤) يشير بذلك إلى أن قراءة: (لَّٰبِثِينَ﴾ أبلغ من قراءة ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ وهو ما صرح به البيضاوي في تفسيره، وقد تابعا في ذلك الزمخشري في كشافه[٣] بناء

(١) ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو ٢٢٤ - ٢٢٨ لعبد الله بن أحمد الفاكهي ت ٩٧٢ هـ، تحقيق: المتولي رمضان الدميري. ط ٢ : مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٩٧).

(٣) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٨).

على وزن "فَعِل" صيغة مبالغة وصفة مشبهة تدل على الدوام والثبوت. كما قال الشهاب الخفاجي بخلاف لابث فإنها تقال لمن وجد منه اللبث وإن قل[(١)]، بينما ذهب فريق من المفسرين كابن جرير الطبري، ومكي بن أبي طالب إلى ترجيح قراءة الجمهور: ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ استنادًا إلى أن اللبث ليس مما يكون خِلْقة في الإنسان، وباب فعِل إنما هو لما يكون خلقة في الإنسان كحذِر وفرِق، وليس اللبث بخلقة»[(٢)].

وأجاب السمين الحلبي عن ذلك بأن اللبث وإن لم يكن خلقة لكنه بولغ في ذلك فجعل بمنزلة الأشياء الخلقية[(٣)]. وذهب بعض المفسرين إلى أنهما بمعنى واحد كالسمرقندي في تفسيره[(٤)]، وابن الجوزي[(٥)]، والواحدي، قال الواحدي: "وهما بمعنى واحد مثل: طمِع وطامع، وفرِه وفاره"[(٦)].

قلت: يبدو لي أنهما وإن كان بينهما فرق من حيث الأصل، وأن قراءة ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ وهي اسم الفاعل لا تدل في الأصل على الدوام والثبوت فإنها بمعونة المقام، ودلالة السياق دالة على ذلك وهو ما تفيده قراءة "لَبِثين"، وهذا قد تفطن إليه الشهاب الخفاجي حين قال: "ومن قرأ بالأوّل - يقصد قراءة ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ - نظر إلى أنّ قوله: ﴿أَحۡقَابٗا﴾ مفيد لتلك المبالغة"، ولا يخفى أن المعول في ذلك على السماع والرواية والقراءة إذا ثبت تواترها فلا يجوز ردها،ولا الترجيح بينها.

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي (٨/ ٣٠٥).
(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢/ ٧٩٥)، ط٢دار الرسالة .
(٣) الدر المصون (١٠/ ٦٥٥).
(٤) تفسير السمرقندي (٣/ ٥٣٨).
(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٨٩).
(٦) الوسيط للواحدي (٤/ ٤١٤).

﴿ فِيهَآ ﴾ في جهنم[١] ﴿أَحۡقَابٗا﴾: ظرف[٢] جمع حُقُب[٣] وهو الدهر[٤] ولم يرد به عدد محصور بل الأبد كلما مضى حُقُب تَبِعَه آخر إلى غير نهاية[٥] ولا

(١) لأنها أقرب مذكور وهي النار، وسميت بجهنم لبعد قعرها، وهي عربية لانطباق المقاييس الصوتية العربية على اللفظ خلافا لمن ذهب إلى أنها معربة[١].

(٢) يريد بذلك أن ﴿أَحۡقَابٗا﴾ ظرف زمان، وناصبه ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ على المشهور[٢].

(٣) الأحقاب جمع: حُقُب بضم الحاء والقاف كعُنُق وأعناق، وأما حُقْب فيجمع على حِقَاب وقيل: يجمع أيضا على أحقاب كقُفْل وأقفال، وذهب الفيومي إلى أن الأصل في ذلك "حُقْب" بسكون القاف، وضمُّ القاف للاتباع لغة قلت: لا يلزم ذلك والقراءة المتواترة في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾ بضم الحاء والقاف؛ ولذا قال السمين: "وقرأ الحسن: «حُقْبًا» بإسكان القاف فيجوزُ أَنْ يكونَ تخفيفًا، وأن يكونَ لغةً مستقلة" فتأمل[٣].

(٤) نصَّ كثير من أئمة اللغة على أن الحقب: الدهر، وأحقابا: دهورا، ومادة "حقب" تدل على شد الشيء أي: جمعه وربطه فإطلاق الحقب على الدهر؛ لأنها جماعة وكَمية من الزمن[٤].

(٥) قال الواحدي: " ليس في الأحقاب ما يدل على غاية، وإنما يدل على الغاية التوقيت، كقولك: خمسة أحقاب، أو عشرة أحقاب، فالمعنى: أنهم يلبثون فيها أحقابًا، كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وهذا معنى قول الحسن: لم يجعل الله لأهل النار مدة؛ بل قال سبحانه: ﴿أَحۡقَابٗا﴾ فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر، كذلك إلى الأبد[٥]".

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٣٥٣) - باب الجيم - الجيم والهاء وما يثلثهما.
(٢) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٢١٥).
(٣) ينظر: لسان العرب(حقب)١/ ٣٢٦ والمصباح المنير للفيومي(١/ ١٤٣) (حقب)ط.دار الكتب العلمية، بيروت ، والدر المصون٧/ ٥١٩ .
(٤) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٤٧١).
(٥) التفسير البسيط (٢٣/ ١٣٠).

يستعمل الحُقُب والحِقبة والحُقبة[1] إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها[2]، وقيل: الحُقُب ثمانون سنة[3].

(١) والفرق بينهما أن حِقبة تجمع على حِقَب كعِقرَب، وحُقبة تجمع على حُقَب كقُرَب، وقد ذكر السمين أنهما بمعنى الحُقُب، قلت: لكن لعل الأشهر في الاستعمال الحِقبة بالكسر[1].

(٢) هذا قريب من كلام الزمخشري بيد أنه قال: "ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها، والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى إلى حقيبة الراكب..."[2]، وهي: ما يشد خلف الراكب والمتتابعات يكون أحدها خلف الآخر ، وعليه فليس في الآية ما يدل على فناء النار أوعدم خلود الكافرين فيها إذ التتابع ينافي ذلك ، قال السمرقندي: "وإنما ذكر أحقابًا، لأنَّ ذلك كان أبعد شيء عندهم. فذكر وتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونه، وهو كناية عن التأبيد، أي: يمكثون فيها أبداً"[3].

قلت: ولو فرض أن في الآية ما يقتضي الدلالة على التناهي والخروج من النار ولو بعد زمان طويل فهو مفهوم معارض بالمنطوق الصريح بخلافه كآيات الخلود في النار، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [سورة المائدة: ٣٧] إلى غير ذلك من النصوص المجمع عليها[4].

(٣) تعددت الأقوال، واختلفت الآثار في تقدير الحقب، ومن أشهر ما ورد في تقديره أنه ثمانون سنة، قال السمعاني: "وأما المنقول في التفاسير عن السلف في معنى الحقب: فأظهر الأقوال أنه ثمانون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة، وهو مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم، ومثله عن أبي هريرة"[5]،

(١) ينظر: الدر المصون (٧/ ٥١٩).
(٢) الكشاف (٤/ ٦٨٨).
(٣) تفسير السمرقندي (٣/ ٥٣٨).
(٤) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٥).
(٥) تفسير السمعاني (٦/ ١٣٩).

وسئل بعضُ العلماء[١] عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ أي: غيرَ ذائقين حالٌ من ضميرِ ﴿لَّٰبِثِينَ﴾[٢] فإذا انقضت هذه الأحقابُ الذي عذبوا فيها بمنع

قلت: لكن لا يخفى أن الأحقاب جاءت بصيغة الجمع ثم هي مطلقة غير مقيدة، فلا يؤخذ منها تحديد مدة أو تقييد زمان، وقد قال الراغب: "والصحيح ان الحِقبة مدة من الزمان مبهمة"[١]، وقال الشوكاني: "المقصود بالآية التأبيد لا التقييد"[٢].

(١) قال علي بن فضَّال المجاشعي: "ويروى أن ابن كيسان أو غيره من العلماء سئل عن قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾ فلم يجب إلا بعد عشرين سنة..."[٣]، ثم ساق جوابه على نحو ما ذكر الإمام النسفي – هنا ثم قال: "وهذا أحسن ما قيل فيه" أي: في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ مع أنه ذكر عشرة أقوال في تفسيرها، وهذا الجواب مختصرًا قد نسبه أبو جعفر النحاس لابن كيسان، وللمبرد وقال: "وهذا جواب نظري بين"[٤].

(٢) على هذا القول فقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾ جملة حالية في محل نصب، وصاحبها الضمير المستكن في ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ لأنها اسم فاعل يرفع فاعلا أي: حال كونهم لابثين غير ذائقين فيها بردًا ولا شرابًا، فتكون حالًا متداخلة فيكون فيه تقييد اللبث المظروف بهذا و "لا يلزم من انتهاء زمان المقيد انتهاء زمان المطلق الظاهر بحسب المتبادر"[٥].

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني. صـ ٢٤٨.

(٢) فتح القدير (٥/ ٤٤٢).

(٣) ينظر: النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن وإعرابه ٥٣٦. تحقيق: د.عبد الله عبد القادر الطويل، ط١: دار الكتب العلمية،بيروت : ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٨٣).

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي (٨/ ٣٠٦).

البردِ والشربِ بُدِّلُوا بأحقاب أُخَر فيها عذاب آخَرُ وهي أحقابٌ بعدَ أحقابٍ لا انقطاعَ لها[1] وقيل: هو من حقِب عامنا إذا قلَّ مطَرُه وخيره وحقِب فلان إذا أخطأَه الرزقُ[2]،فهو حَقِبٌ وجمعُه أحقاب[3] فينتصبُ حالاًعنهم أي لابثين فيها حَقِبين[4] جَحِـــــدين[5]

(١) ويستدل لهذا القول بما جاء بعد ذلك من قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قالوا: من صنوف أخرى، كما استندوا إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [سورة ص: ٥٥ – ٥٨].

(٢) كذا في المخطوط لوحة ٢٩٨ وفي بعض النسخ المطبوعة: "أخطأ الرزق"، والمراد: حرم من الرزق فهو كناية عن الحرمان، وذلك لأن معناه الحقيقي وهو أخطأ الرزق غير متصور[1].

(٣) حقِب على وزن فَعِل كحذِر: صفة مشبهة، وضعف هذا القول لأن جمع فعِل على أفعال غير متعارف[2].

(٤) هذا الكلام ذكره الإمام الزمخشري كوجه في تفسير الأحقاب[3]، ويكون معنى "حقب" حُرم والمراد أنهم محرومون من النعيم، لكن يعكر هذا القول أن "أفعالا" لا تكون جمعا لـ "فعِل" في المشهور[4]، كما أن المعنى للحقب من المعاني المجازية والأولى حمل الكلام على حقيقته، وممن صرح بكونه مجازًا الإمام الزمخشري نفسه في أساس البلاغة[5]، وقد قال أبو حيان: "والذي يظهر أن قوله: لا يذوقون كلام مستأنف وليس في موضع الحال... ، وأن أحقابا ظرف على المشهور من لغة العرب، لا حال على تلك اللغة التي ليست مشهورة"[6].

(٥) كذا في المخطوط لوحة: ٢٩٨ ، وأكثر الطبعات من الجَحْـــــد بمعنى الضَّيْقُ فِي

(١) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٢٧).
(٢) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٢٥).
(٣) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٩).
(٤) تاج العروس للزبيدي – فصل الحاء المهملة – مادة: حقب (٢/ ٢٩٨).
(٥) ينظر: أساس البلاغة (١/ ٢٠٢). ط١:دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان: ١٩٩٨م.
(٦) البحر المحيط (١٠/ ٣٨٧).

و﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ تفسير له[١] وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ استثناء منقطع[٢]

الْمَعِيشَةِ. يُقَالُ: جَحِدَ عَيْشُهم جَحَداً إِذا ضَاقَ واشتدَّ[١]، وفي نسخة مطبوعة:" جَهِدين" من الجهد بسبب التعب وضيق المعيشة.

(١) أي: أنها تكون جملة تفسيرية للأحقاب بهذا المعني وهي جملة لا محل لها من الإعراب أو أنها صفة كاشفة[٢].

(٢) الاستثناء المنقطع هو: ألا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه بخلاف الاستثناء المتصل فإن المستثنى فيه يكون من جنس المستثنى منه، وقد اختار النسفي أنه من الاستثناء المنقطع وقد سبقه إلى ذلك الزمخشري[٣]، بينما رجح آخرون أنه استثناء متصل من ﴿وَلَاشَرَابًا﴾.

وممن رجح ذلك ابن عطية[٤]، وأبوحيان[٥]، والسمين الحلبي، فقد قال: "وهو واضح"، وأما عن وجه الانقطاع فقال: "وإنما الذي حَمَلَ الزمخشريُّ على الانقطاع مع صِدْقِ اسم الشرابِ على الحميمِ والغَسَّاقِ وَصْفُه له بقولِه: «ولا شَراباً يُسَكِّنُ مِنْ عَطَشِهم» فبهذا القَيْدِ صار الحميمُ ليس من جنسِ هذا الشراب"[٦]، قلت: ولهذا لما تابع النسفي الزمخشري في هذا التقييد قال بانقطاع الاستثناء، وأما من حمل الشراب على عمومه لأنه نكرة في سياق النفي فيكون استثناء الحميم منه على سبيل الاتصال، وقد جعل الشيخ عضيمة الاستثناء في الآية من المحتمل للوجهين.

---

(١) ينظر: لسان العرب. حرف الدال. فصل الجيم. مادة: جحد (٣/ ١٠٦).
(٢) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٦).
(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٩).
(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٧).
(٥) ينظر: البحر المحيط (١٠/ ٣٨٧).
(٦) الدر المصون (١٠/ ٦٥٧).

أي: ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ في جهنم أو في الأحقاب[1] بَرْداً روْحًا ينفس عنهم حر النار[2]

(١) عود الضمير على جهنم ظاهر ويصلح على القول بأن قوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ جملة استئنافية، أو حالية من الضمير المستكن في لابثين، وأما عود الضمير على الأحقاب فعلى قول من ذهب إلى أنها صفة للأحقاب حيث إن الضمير في ﴿فِيهَا﴾ يلزم أن يعود على الأحقاب ليصح وصفها بذلك عند من أجاز ذلك، كأبي جعفر النحاس ونقل عن المبرد قوله: "المعنى لابثين فيها أحقابا هذه صفتها أي يعذبون بهذا العذاب في هذه الأحقاب"[1]، ولذا قال مكي بن أبي طالب: "وإنما جاز أن يكون نعتًا لأحقاب لأجل الضمير العائد على الأحقاب في ﴿فِيهَا﴾"[2]، وخالف في ذلك بعض المفسرين، ولم يروا هذا سائغًا، واستبعدوا هذا الإعراب[3].

(٢) البَرْد على قول كثير من المفسرين برد الماء، وبرد الهواء كما قال الماوردي[4]، وهو تنفيس للذين عذابهم الحر، والبردُ ألذُّ ما يطلبه المحرور على ما ذكره العلامة ابن عاشور[5]، وأما تفسير البرد بأنه راحة أو روْح ينفس عنهم حر النار فإنه على ما ذكره القونوي مجاز؛ لأنه لازم للبرد المعتدل فلا ينافي أنهم قد يعذبون بالزمهرير[6].

(١) إعراب القرآن (٥/ ٨٣).

(٢) مشكل إعراب القرآن (٢/ ٧٩٥).

(٣) ينظر: فتوح الغيب للطيبي (١٦/ ٢٥٢)، وروح المعاني للألوسي (١٥/ ٢١٥).

(٤) النكت والعيون (٦/ ١٨٦).

(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٧٠).

(٦) حاشية القونوي (٢٠/ ٢٧).

أو نومـًا ومنه منع البرد البرد[١]

(١) وفي بعض النسخ المطبوعة زيادة: "من أمثال العرب" وتفسير البرد بالنوم قيل: إنه من قبيل المجاز، والجامع إزالة التعب وجلب الراحة فهو استعارة، وقيل: إنه حقيقة في النوم، ولغة فيه، ويقصدون بقولهم: منع البرد البردَ أي: منع البرد النوم، وأنشدوا قول الكندي:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَليَّ فَصَدَّني عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ

قال الفراء: "وَإِنَّ النَّوْمَ لَيُبْرِدُ صَاحِبَهُ. وَإِنَّ الْعَطْشَانَ لَيَنَامَ فَيُبْرِدُ بالنوم"[١]، لكن تفسير البرد بالنوم على التسليم بأنه حقيقة ولغة فيه يبقى مرجوحا؛ ولذا قد تعقبه كثير من المفسرين قال الإمام الطبري: "وَالنَّوْمُ إِنْ كَانَ يُبْرِدُ غَلِيلَ الْعَطَشِ، فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْبَرْدِ، فَلَيْسَ هُوَ بِاسْمِهِ الْمَعْرُوفِ، وَتَأْوِيلُ كِتَابِ اللهِ عَلَى الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْرُوفِ كَلَامِ الْعَرَبِ، دُونَ غَيْرِهِ"[٢]، وقال أبو جعفر النحاس: "ليس هذا المشهور في كلام العرب، وإنما يحمل كتاب الله جل وعز على الأشهر"[٣]، وقال الرازي في تفسيره: "إذا أمكن حمل اللفظ على الحقيقة المشهورة، فلا معنى لحمله على المجاز النادر الغريب"[٤]، وأجاب عما تمسك به القائلون بأنه النوم، ولعله لهذا الضعف أتي به الزمخشري على صيغة التمريض: "وقيل"، لكن لم يتابعه في هذا الصنيع البيضاوي ثم النسفي - رحم الله علماءنا ورضي عنهم - .

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٢٨) - دار المصرية.

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٢٧).

(٣) القطع والائتناف. صـ٧٨٢.

(٤) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٦).

وَلاَ شَرَابًا يسكن عطشهم[1] ولكن[2] يذوقون فيها حميمًا ماءً حاراً يحرق ما يأتي عليه[3] وغساقًا ماء يسيل من صديدهم[4]

(١) هذا التخصيص للشراب بهذا المعنى جعل الحميم منقطعا عن الشراب، وقد تابع الإمامُ النسفيُّ في ذلك الإمامَ الزمخشريَّ[1]، وإلا فإن قوله:﴿وَلَا شَرَابًا﴾ نكرة في سياق النفي فتعم. وعليه فيكون قوله:﴿ إِلَّا حَمِيمًا ﴾ مستثنى متصل لاندراجه أولا في الشراب وهو الوجه الثاني كما مرَّ.

(٢) هذا معنى "إلاَّ" عند عدِّ الاستثناء منقطعا حيث يفسرها البصريون بـ "لكِنْ"، والكوفيون بـ "سوى"، وإنما شابهت "إلا" "لكن"؛ لأن "لكن" للاستدراك بعد النفي، فأنت توجب بها للثاني ما نفيت عن الأول فمن ههنا تشابها[2].

(٣) فالمراد بالحميم الماء الحار الذي يشوي الوجوه قد انتهى حره وغليانه قال ﷻ: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]، وأصل الحميم في كلام العرب: الحار وهو فعيل بمعنى مفعول أي: محموم، ومنه قيل للحمّام حمام لإسخانه الجسم[3].

(٤) الصديد هو: الدم المختلط بالقَيْح[4]، وتفسير الغساق بالماء الذي قال به كثير من المفسرين ويكون في معنى قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ قال ابن عاشور: "والمعنى: يذوقون الحميم إذ يراق على أجسادهم، والغساق إذ يسيل على مواضع الحرق فيزيد ألمهم. وصورة الاستثناء هنا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده في الصورة"[5].

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٩).
(٢) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج١/ ٢٩٠، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٢٥) - والصحاح (حمم)٥/ ١٩٠٥.
(٤) المصباح المنير. مادة: صدد (١/ ٣٣٤).
(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٨).

.....

قلت: يشهد لتفسير الغساق بذلك أصل معناه اللغوي فإنه سيلان ما في عمق الشيء من مائع فاسد: كدمع العين الرمداء والماء الأصفر من الجُرح[١]، وقيل الغساق: هو ما يسيل من دموعهم، وقيل: هو الزمهرير شديد البرودة الذي لا يستطاع، وقيل: المنتن، وما ذكر أولا أولى قال الطبري: "لأنه الأغلب من معنى الغُسُوق، وإن كان للأوجه الأخرى وجه صحيح"[٢]، وقال "وهذه الأقوال ليست بمتناقضة لأنه يكون ما يسيل من جلودهم منتنا شديد البرد[٣]، ومن ثمَّ قال الإمام الألوسي:" النتونة وصف له في الواقع، وليست مأخوذة في المفهوم"[٤].

قلت: ولا ينافي ذلك ما ذكره ابن فارس من أن أصل المادة يدل على ظلمة[٥] فإنه "يحتمل أن يكون الغساق مع سيلانه أسود مظلما فيصح الاشتقاقان"[٦].

فائـــدة: قال القونوي: "غساق مستثنى من البرد على كون المراد بالغساق الزمهرير وإن أريد به الصديد فهو مستثنى من الشراب كما أن الحميم مستثنى منه، ولا شيء مستثنى من برد حينئذٍ إذ المراد به ما يروحهم، وإن أريد بالغساق الزمهرير فيكون الاستثناء منقطعا على التفسير المذكور [تفسير البرد بما يسكن عطشهم أو النوم] فيكون الاستثناء على سبيل اللف والنشر غير المرتب، واستثناء الحميم أيضا منقطع إن فسِّر الشراب بالنافع اللذيذ، وإلا فهو متصل، وإن فسِّر البرد بمطلق البرد مروحا كان أو لا فاستثناء الغساق متصل ومن هنا اختلف في الاستثناء قيل: إنه متصل، وقيل: إنه منقطع، وسره ما ذكرناه"[٧].

---

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١٥٨٠).
(٢) جامع البيان (٢٠/ ١٣٠).
(٣) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٨٣).
(٤) روح المعاني (١٢/ ٢٠٦).
(٥) مقاييس اللغة . كتاب الغيب (غسق) ٤/ ٤٢٥.
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٢٢)
(٧) حاشية القونوي (٢٠/ ٢٨).

وبالتشديد كوفي[1] غير أبي بكر[2].

(١) يقصد بالتشديد تشديد السين في: "وغسَّاقا"، والكوفيون من القراء السبعة هم: عاصم، وحمزة والكسائي، ويزيد عليهم من العشرة خلف.

(٢) أبو بكر بن عياش: هو الإمام المقرئ أحد راويي الإمام عاصم في قراءته المتواترة، والآخر حفص، وقد اختلف في اسم أبي بكر هذا على ثلاثة عشر قولا أصحها شعبة، ولعل الإمام النسفي اختار الكنية لعدم الاختلاف فيها قال أبو بكر بن عياش: اختلفت إلى عاصم نحوا من ثلاث سنين، في الحر والشتاء والمطر، حتى ربما استحييت من أهل مسجد بني كاهل، واختلف في سنة وفاته فقيل: ١٩٣هـ، وقيل غير ذلك[1]

وهو يريد بذلك أن قراءة الكوفيين باستثناء أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم بتشديد السين في غساق، وأما شعبة فوافق بقية القراء في القراءة بتخفيف السين، وقد وافق خلف الكوفي من القراء العشرة قراءة الكوفيين بتشديد السين كما في "النشر"[2]، والفرق بينهما أن القراءة بالتشديد على وزن فعَّال وهي صيغة مبالغة وهي صفة أقيمت مقام الموصوف، كأنه قال: ومشروب غساق وأما بالتخفيف فهو اسم موضوع لذلك كما ذكر ابن عطية [3]والسمين الحلبي[4]، وصرح كثير من المفسرين بأنهما بمعنى واحد كالسمرقندي[5]والقونوي[6]، وأبي السعود، وابن عاشور في تفسيره[7].

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠٢) دار الرسالة. الطبعة الثالثة، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٢٧) مكتبة ابن تيمية.

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٦١).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٧).

(٤) الدر المصون (٩/ ٣٨٩).

(٥) تفسير السمرقندي (٣/ ٥٣٨).

(٦) حاشية القونوي (٢٠/ ٢٨).

(٧)تفسير أبي السعود (٩/ ٩١) ، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٣٨).

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ﴿ جَزَآءً ﴾ جوزوا جزاء[١] ﴿ وِفَاقًا ﴾ موافقًا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة[٢] أو ذا وفاق[٣] ثم استأنف

(١) فـ ﴿ جَزَآءً ﴾ مصدر أو مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر تقديره: جُوزُوا، وهذا قول أكثر المفسرين، وذكر السمين الحلبي وجهًا آخر في عامل النصب في هذا المصدر وهو قوله: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ﴾؛ لأنه في قوة"[١] جُوزوا بذلك.

(٢) يريد أن يبين أن ﴿وِفَاقًا﴾ مصدر وقع صفة لـ ﴿جَزَآءً﴾ والمصدر إذا وقع صفة يؤول إما بمعنى اسم الفاعل، وإما على حذف مضاف أو أنه أُتِي به على سبيل المبالغة فعلى معنى اسم الفاعل يكون بمعنى موافقا وهو ما عبر عنه بقوله:"موافقا لأعمالهم".

(٣) وهذا على جعل المصدر ﴿وِفَاقًا﴾ الواقع صفة على حذف مضاف أي: جزاء ذا وفاق على هذا الوجه يكون ﴿ وِفَاقًا ﴾ منصوبًا على حذف مضاف أي: جزاء ذا وفاق، ويحتمل أن يكون قوله:﴿وِفَاقًا﴾ وصفا للجزاء بالمصدر على سبيل المبالغة كما يقال: فلان فضل وكرم لكونه كاملا في ذلك المعنى، كذلك هاهنا لما كان ذلك الجزاء كاملا في كونه على وفق الاستحقاق وصف الجزاء بكونه وفاقا، ففي قوله ﴿ وِفَاقًا ﴾ دليل على كمال عدله، وأنه أنزل بهم عقوبة شديدة بسبب أنهم أتوا بمعصية شديدة فيكون العقاب وفاقا للذنب، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[٢].

(١) الدر المصون (١٠/ ٦٥٨).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧).

معللًا[1] فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ لا يخافون محاسبة الله إياهم[2]

(١) يقصد بذلك أن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ جملة تعليلية تبين سبب هذا الجزاء الذي أعده الله للطاغين، والتعليل جاء بطريق الاستئناف لأن التعبير بـ "إنَّ" أغني عن الفاء العاطفة كما بينه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في مثل قول القائل:

بكرا صاحبي قبل الهجير إنَّ ذاكَ النجاحَ في التَّبْكيرِ[1]

(٢) تفسير الرجاء بالخوف في الآية الكريمة نسبه ابن الجوزي للجمهور[2]، والرازي لكثير من المفسرين[3]، وقال الزجاج: "وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف لأن الرجاءَ أمل قد يخاف أَلَّا يَتِمَّ"[4]، ولذا قيل: الرجاء يتلازم مع الخوف، وكأن من يتوقع الخير ويترقبه يخاف ألا ينال رجاءه، وكلمة الرجاء في أصل معناها اللغوي تدور حول إشراف الجسم القائم على مَهْواة فيها مادّة نافعة - كجوانب البئر والوادي يؤخذ منه الإشراف على نَيْل خير كالماء ونحوه، كما يشعر بنقص الاطمئنان إلى يقينية الحصول عليه، وهذا هو الرجاء بمعنى الأمل والطمع، ولما كان الرجاء يطلق على الإشراف على مهواة عميقة ومن الاضطراب الذي يتأتى من ذلك جاء معنى الخوف، وكأن مأتاه استشعار المهابة. وبالخوف فُسِّرَ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، والعرب تقول: ما رَجَوْتك: أي ما خِفْتك، وبه فُسِّرَ قول أبي ذؤيب الهذلي: إذا لَسَعَتْه الدَّبر لم يَرجُ لَسْعَها أي: لم يخف جماعة النحل[5].

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني ١/ ٢٧٣،ط٣ المدني بالقاهرة. بجدة: ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٩٠).
(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٨).
(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٠).
(٥) ديوان الهذليين ١٤٣. الدار القومية للطباعة، القاهرة، والمعجم الاشتقاقي المؤصل (٢/ ٧٥٨)، ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم د. محمد داود ٧٣:دار غريب.

أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابًا[١]

(١) والمعنى على ذلك: "لم يعتقدوا أن هناك حسابا فلم يكن منهم رجاء"، والمراد نفي إيمانهم؛ إذ المؤمن هو الذي يرجو ما عند الله لعباده الصالحين في الآخرة، لأن ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر، وساعد على ذلك أن الإضمار والاعتقاد شيء في النفس كالرجاء والطمع والظن، قال الإمام ابن عطية: "الرجاء هنا على بابه، ولا رجاء إلا وهو مقترن بخوف ولا خوف إلا وهو مقترن برجاء، فذكر أحد القسمين لأن المقصد العبارة عن تكذيبهم كأنه قال: إنهم كانوا لا يصدقون بالحساب، فلذلك لا يرجونه ولا يخافونه"[١]، وثَمَّ أقوال أخرى في معنى الآية الكريمة فمن ذلك: أن الرجاء هاهنا بمعنى التوقع، وهو صورة من الطمع أي: لا يتوقعون لأن الراجي للشيء متوقع له إلا أن أشرف أقسام التوقع هو الرجاء فسمي الجنس باسم أشرف أنواعه.

وقد قيل في حكمة التعبير بالرجاء أيضًا: إن في هذه الآية تنبيها على أن الحساب مع الله جانبُ الرجاء فيه أغلبُ من جانب الخوف، وذلك لأن للعبد وعدا متحقا في جانب الثواب ولله تعالى حق على العبد في جانب العقاب، والكريم قد يسقط حق نفسه، ولا يسقط ما كان وعد غيره به وجعله حقا له، فلا جرم كان جانب الرجاء أقوى في الحساب، فلهذا السبب ذكر الرجاء، ولم يذكر الخوف[٢].

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ١٨)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل (٢/ ٧٥٩).

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ تكذيبًا وفِعَّال في باب فعَّل كله فاش[1].

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ نصب بمضمر يفسره[2]

---

(١) يقصد بذلك أن "كذَّب" على وزن "فعَّل"، والمشهور في مصدره أن يكون على وزن تفعيل "تكذيب" لكن ﴿كِذَّابًا﴾ على وزن "فِعَّال" وهو مصدر لـ "كذَّب" أيضًا، وبيَّن أنه فاشٍ وهذا من كلام الإمام الزمخشري لكن عبارته فيها مزيد بيان حيث قال: "وفِعَّال في باب فَعَّل كله فاشٍ في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره، وسمعني بعضهم أفسر آية فقال: لقد فسرَّتها فِسَّارا ما سمع بمثله"[1]، وقال البيضاوي: "وفِعَّال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء"[2]، وقال الإمام أبو حيان في تفسيره: "ومن كلام أحدهم وهو يستفتي: الحلق أحب إليك أم القِصَّار، يريد التقصير، يعني في الحج"[3].

(٢) يشير بذلك إلى مسألة الاشتغال وبيانها هنا: أن الفعل "أحصى" قد عمل في الضمير المتصل" الهاء" النصب على المفعولية فاشتغل به عن نصب قوله ﴿وَكُلَّ﴾ فيقدر له فعل يفسره "أحصى" المذكور فيكون تقدير الكلام: وأحصينا كل شيء أحصيناه، والنصب هنا أنسب ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل[4].

قلت: هذا من مواضع ترجيح النصب في باب الاشتغال، وبالنصب قرأ القراء العشرة.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٩).

(٢) أنوار التنزيل (٥/ ٢٨٠).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٣٨٨)، وينظر كلام الفراء في معاني القرآن (٣/ ٢٢٩).

(٤) ينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النحَّاس (٥/ ٨٥).

﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ مكتوبًا[١] في اللوح[٢] حال[٣] أو مصدر في موضع إحصاء أو أحصينا في معنى كتبنا[٤]

(١) فيكون من باب "فِعَال" بمعنى "مفعول" على أنه مصدر مؤول باسم المفعول "مكتوبا"، ونصبه على الحالية، وقال القونوي: "ولو أبقي على ظاهره للمبالغة صح"[١].

(٢) قال ابن الجوزي: "قال المفسرون: فالمعنى: وكلّ شيء من الأعمال أثبتناه مكتوبًا في اللوح المحفوظ"[٢]. قلت: فيكون في معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾، وزاد بعض المفسرين كالزمخشري مع ذكر اللوح المحفوظ صحف الحفظة، وقال: "والمعنى: إحصاء معاصيهم، كقوله تعالى: ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾"[٣]، وقال أبو حيان: "أي: كل شيء مما يقع عليه الثواب والعقاب فهو عام مخصوص"[٤].

(٣) أي: أنه حال من الضمير المنصوب في ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾، وهناك من أعربه تمييزا محولا عن مفعول لأن الأصل: "أحصينا كتابته".

(٤) أي: أن الكتاب مصدر بمعنى الإحصاء فهو قائم مقامه فعله أحصى المذكور، أي: أحصيناه إحصاء، أو أن أحصينا بمعنى كتبنا وعليه فكتابا منصوب على المصدرية لهذا الفعل "أحصينا" القائم مقام الفعل "كتبنا" أي: كتبنا كتابا - كقولك: قعدت جلوسا أو جلست قعودا -، واختار القونوي هذا الثاني؛ لأن الكتابة أقوى في الضبط، ولعل هذا أولى مما ذهب إليه بعضهم من تقدير فعل: وكل شيء أحصيناه كتبناه كتابا؛ لأن المذكور مغنٍ عنه،

(١) حاشية القونوي (٢٠/ ٣٢).
(٢) زاد المسير (٤/ ٣٩٠).
(٣) الكشاف (٤/ ٦٩).
(٤) البحر المحيط (١٠/ ٣٨٩).

لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبًا[(١)]، وهذه الآية اعتراض[(٢)]

= والأصل عدم التقدير، وكذا أولى من جعل الآية من قبيل الاحتباك[(١)] بتقدير : "أحصيناه إحصاء كتبناه كتابا"؛ لكثرة الحذف فيه مع عدم الاحتياج إليه، وأيضا فإنه يفوت المبالغة المستفادة من كون ﴿ كِتَٰبًا ﴾ مصدرا للإحصاء[(٢)].

(١) وذلك لالتقاء الإحصاء، والكتابة في معنى الضبط والتحصيل كما قال الزمخشري[(٣)]، والتعبير بقوله: ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ أبلغ من "كتبناه" لأن من كتب شيئا مفرقا يحتاج إلى جمع عدده فقال: هو محصى فيه، وإنما عدل عن قوله إحصاء إلى قوله ﴿ كِتَٰبًا ﴾؛ لأن الكتابة هي النهاية في قوة العلم، ففي قوله ﴿ كِتَٰبًا ﴾ تأكيد ذلك الإحصاء والعلم[(٤)].

(٢) الاعتراض هو: "أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام"، وثمَّ أقوال أخرى في تعريفه[(٥)].

قال العلامة الشيخ أ. د/ محمد أبو موسى –: "الجملة حين تعترض بين جزئي كلام واحد يدل اعتراضها هذا على أن معناها من الأهمية بمكان؛ لأنه اقتحم موقعًا لا يجوز له يقتحمه"[(٦)]،

(١) والاحتباك: أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيءٌ إيجازاً، يدل ما ذُكِر مِن كلٍّ على ما حذف من الآخر [ينظر: نظم الدرر (٤/ ٢٦٣)].

(٢) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٣٢).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٩٠).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ٢٥٩)، (٣١/ ٢٠).

(٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٢١٤).

(٦) ينظر: مقدمة كتاب من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب. الشيخ محمد أبو موسى ٩، ط٣: مكتبة وهبة.

لأنَّ قوله ﴿فَذُوقُواْ﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أي: فذوقوا جزاءكم[(١)]

= ونوع الاعتراض هنا: اعتراض بين السبب ومسببه وفائدته: "الإشعار بأن تكذيبهم البعث والرسل والكتب، إنما نشأ من اعتقادهم أنه تعالى لا يعلم جُزيئات أعمالهم وأعمال الرسل، فلا حساب ولا بعثة ولا كتاب"[(١)].

(١) فالفاء سببية داخلة على المُسبَّب والمراد به الأمر بالذوق أو الذوق نفسه وكلاهما مسببان عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات كما قال القونوي: "فقوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾ مترتب ومتفرع على قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ وقد قدر كثير من المفسرين فعل القول هنا أي: "فيقال لهم" وأن هذا القول حين يكونون في دار العقاب، وحذف فعل القول لدلالة السياق عليه مشهور في كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٧] أي: يقولون، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧] أي: يقولان: ربنا تقبل منا"[(٢)].

وذكر الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة أن عبارة: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ مستقطعة من الحدث المستقبلي الذي سوف يكون يوم الدين، دون الإشارة إلى أن هذا سوف يكون في المستقبل ومن منهج البيان القرآني استقطاع النصوص من أزمانها الماضية أو المستقبلة، وعرضها بألفاظ دون الإشارة إلى أنه كان كذا فيما مضى، أو سيكون كذا فيما سيأتي[(٣)]. =

(١) فتوح الغيب للإمام الطيبي (١٦/ ٢٥٥).

(٢) حاشية القونوي (٢٠/ ٣٢).

(٣) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ/ عبد الرحمن حبنكة (١٥/ ٣٢ - ٣٣) دار القلم – دمشق. الطبعة الأولى.

﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ والالتفات[1] شاهد على شدة الغضب[2]

(١) يقصد بذلك ما وقع في الآية من تغيير أسلوب الخبر إلى الخطاب في قوله ﷻ: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ﴾ بعد أن كان جاريًا بطريق الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ وقد ذكر القزويني أن الالتفات عند الجمهور: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة – التكلم والخطاب والغيبة – بعد التعبير عنه بطريق آخر منها[1]، وأدخل السكاكي فيه ما كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها، وإن لم يتقدمه التعبير بطريق آخر لكن مع تقدير القول هنا لا يكون فيه التفات؛ لأن المفرع بالفاء هو فعل القول "فيقال لهم" فلا يكون هناك تغيير في التعبير.قال الشهاب: "ولو قدر القول فيه لم يكن التفاتاً"، وهو ما رجحه أيضا ابن عاشور في تفسيره[2] خلافًا لمن عدَّه من قبيل الالتفات.

(٢) أما على القول بأنَّ في الآية التفاتا فلأنَّ "الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في التهديد إذ الخطاب وقت الغضب والإهانة يفيد زيادة التقريع والتوبيخ، والمبالغة في الإهانة والتقريع كما أن الخطاب وقت اللطف زيادة في التعظيم ومبالغة في التفخيم"، وأما على القول بأنه لا التفات فلا تخلو الآية الكريمة أيضا من الدلالة على المبالغة في التعذيب من أوجه ذكر منها الإمام الرازي تأكيد النفي بـ "لن"، ومنها أنه تعالى عدد وجوه العقاب ثم حكم بأنه جزاء موافق لأعمالهم ثم

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٨٦).

(٢) حاشية الشهاب (٨/ ٣٠٧)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٤٢).

وفي الحديث: «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار»[(١)] .

عدد فضائحهم، ثم قال: "﴿فَذُوقُواْ﴾ فكأنه تعالى أفتى وأقام الدلائل، ثم أعاد تلك الفتوى بعينها، وذلك يدل على المبالغة في التعذيب، ومن ذلك ما في الآية من أسلوب القصر بالنفي والاستثناء وأنه لا شيء سوى العذاب والزيادة منه"[(١)].

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق جسر بن فرقد السبخى عن الحسن سألت أبا برزة الأسلمي فذكره مرفوعا[(٢)]، وأخرجه البيهقي موقوفًا على أبي برزة الأسلمي[(٣)]، وقد جمع طرقه الإمام الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، وكلها - مرفوعة وموقوفة - تدور على جسر بن فرقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "ضعيف الحديث بالكلية"، وقال فيه الإمام الزيلعي: "ضعيف جدًا"[(٤)].

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٠).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ١١٧) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) كتاب البعث والنشور حديث ٥٧٩ صـ ٣١٨.

(٤) ينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للإمام الزيلعي (٤/ ١٤٥) دار ابن خزيمة – الرياض. ١٤١٤هـ. الطبعة: الأولى.

حال السعداء في الآخرة :

"جزاء المتقين" :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ ﴾ مَفْعَل من الفوز[1] يصلح مصدراً[2] أي: نجاة من كل مكروه وظفراً بكل محبوب[3]

---

(١) أصل الكلمة "فوز"، ومَفعَل منها مفوَز" بوزن مفعَل بفتح العين، نقلت حركة الواو إلى الفاء، ثم قلبت ألفًا لمناسبتها للفتحة التي نقلت إلى الفاء.

(٢) على هذا القول يكون قوله: ﴿ مَفَازًا ﴾ مصدرًا ميميًا، والمصدر الميمي يصاغ من الفعل الثلاثي على وزن "مفعَل" إلا إذا كان مثالا صحيح اللام محذوف الفاء في المضارع فإنه يصاغ على وزن "مَفعِل" كمَوعِد.

(٣) هذا معنى ﴿ مَفَازًا ﴾ على القول بأنه مصدر فهو كالفوز بمعنى النجاة من المرهوب، والظفر بالمطلوب قال تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]، والنجاة من المرهوب تحصل بالسلامة من جهنم التي جعلها الله مآبا للطاغين، والظفر بالمطلوب بدخول الجنة التي فيها الحدائق والأعناب والكواعب الأتراب والكأس الدهاق؛ ولذا قدروا - على هذا القول - قبل حدائق "فوز حدائق" قال أبو حيان: "أَبْدَلَ الْجِرْم مِنَ الْمَعْنَى عَلَى حَذْفٍ، أَيْ فَوْزَ حَدَائِقَ، أَيْ بِهَا"[1].

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٣٨٩).

ويصلح للمكان[١] وهو الجنة[٢]، ثم أبدل منه بدل البعض من الكل[٣] فقال: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا﴾ بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة[٤]

ومن المفسرين من رأى أنَّ دلالة المفاز على معنى الظفر بالمطلوب من قبيل عبارة النص وهي ما سيق الْكَلَام لأَجله وَأُرِيد بِهِ قصدا وهي المعنى المتبادر من اللفظ، وأن دلالة المفاز على السلامة من المرهوب من قبيل إشارة النص والمرا د بها المعنى الذي لا يتبادر فهمه من اللفظ ولا يقصد من سياقه ولكنه معنى لازم للمعنى المتبادر من ألفاظه، فهو مدلول اللفظ بطريق الالتزام[١].

(١) فيكون قوله: "مفازًا" اسم مكان بمعنى: موضع فوز ومنتزه وهو مروي عن ابن عباس ، وجاء تفسير موضع الفوز في قوله: ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ وقد استظهره بعض المفسرين كالحافظ ابن كثير[٢].

(٢) قال ابن عاشور: "وَأُوثِرَتْ كَلِمَةُ مَفازاً عَلَى كَلِمَةِ: الْجَنَّةِ، لِأَنَّ فِي اشْتِقَاقِهِ إِثَارَةَ النَّدَامَةِ فِي نُفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ: فَتَأْتُونَ أَفْواجاً [النبأ: ١٨] وَبِقَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابٗا ٣٠﴾[٣].

(٣) أي: على القول بأن مفازًا: موضع الفوز فقوله: ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ بدل بعض من كل؛ باعتبار أنه بعض من مكان الفوز، والرابط مقدّر، وتقديره حدائق هي محله أو فيه ونحوه وقيل: بدلَ كل مِنْ كل مبالغةً: في أَنْ جُعِلَتْ نفسُ هذه الأشياء مفازاً، وجوز أَنْ يكونَ منصوباً بإضمار «أَعْني»[٤].

(٤) أصل الحديقة من "حدق" وقد جعلها ابن فارس أصلًا واحدًا وهو

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٣٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٠٨).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٤).
(٤) ينظر: الدر المصون (١٠/ ٦٦١)، وحاشية الشهاب (٨/ ٣٠٨).

وأعنابا كروماً[1]

الشيء يحيط بالشيء"[1]، وقال الراغب: "الحديقة: سمّيت تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها"[2]؛ ولذا قال الطبري في تفسيره: "الحديقة هي البساتين من النخل والأعناب والأشجار المحوط عليها الحيطان المحدقة بها، لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة، لم يقل لها حديقة، وإحداقها بها: اشتمالها عليها"[3]، وقال البقاعي: "حدائق: بساتين فيها أنواع الأشجار ذوات الثمار والرياحين لتجمع مع لذة المطعم لذة البصر والشم، قد أحدقت بها الجدران وحوطت بها"[4].

(٢) فسَّر الأعناب بالكروم وقد قال الراغب: "العِنَبُ يقال لثمرة الكرم، وللكرم نفسه، الواحدة: عِنَبَةٌ، وجمعه: أَعْنَابٌ"[5]، وقال ابن عاشور: "وهو في الأصل ثمر شجر الكرم. ويطلق على شجرة الكرم عنب على تقدير مضاف، أي شجرة عنب، وشاع ذلك فتنوسي المضاف"[6].

قلـــت: إنما فسره الإمام النسفي بالكروم هنا لمناسبته للعطف على الحدائق، ويكون من قبيل عطف الخاص على العام، وفي التعبير عن أشجار الكروم بثمرتها ﴿ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ إعلام بأنها لا توجد إلا موقرة حملاً =

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٣) كتاب الحاء - باب الحاء والدال وما يثلثهما - مادة: حدق.
(٢) المفردات في غريب القرآن. صـ٢٢٣.
(٣) جامع البيان (٢٤/ ٣٨).
(٤) نظم الدرر (٢١/ ٢٠٩).
(٥) المفردات في غريب القرآن. صـ ٥٨٩.
(٦) التحرير والتنوير (٧/ ٤٠١).

.....

= وأن ثمرتها هي جل منفعتها أفاده البقاعي وقال: "وخص أشجار العنب لطيبها وحسنها وشرفها وما فيها من لذة الذوق"(١).

فائـــدة: أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للإمام مسلم من حديث أبي هريرة ط عن النبي ^ قال: "لَا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ"(٢)، وقال الإمام النووي: "قال العلماء سبب كراهة ذلك أن لفظة الكرْم كانت العرب تطلقها على شجر العنب وعلى العنب وعلى الخمر المتخذة من العنب سموها كرما لكونها متخذة منه ولأنها تحمل على الكرم والسخاء فكره الشرع اطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر وهيجت نفوسهم إليها فوقعوا فيها أو قاربوا ذلك وقال إنما يستحق هذا الاسم الرجل المسلم أو قلب المؤمن لأن الكرم مشتق من الكرم بفتح الراء وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فسمي قلب المؤمن كرمًا لما فيه من الإيمان والهدى والنور والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم وكذلك الرجل المسلم"(٣).

(١) نظم الدرر (٢١/ ٢٠٩) وينظر: روح المعاني (١٥/ ٢١٨)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها: كتاب الأدب. باب لا تسبوا الدهر[٨/ ٤١ حديث ٦١٨٢]، ومسلم في صحيحه بترتيب النووي. كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها. باب كَرَاهَةِ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرْمًا [٤/ ١٧٦٣ حديث ٢٢٤٧].

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي (١٥/ ٤) دار إحياء التراث العربي – بيروت. ط الثانية ١٣٩٢ هـ.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نواهد[1] ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ لدات[2] مستويات في السن[3]

(١) تفسير الكواعب بالنواهد قال به ابن عباس ومجاهد، وغير واحد: يعنون أن ثُدِيَهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار، والكواعب أو النواهد على ذلك وصف لنساء أهل الجنة، يقال: كَعَبَ ثَدْيُها، أي: استدارَ، ويقال: "نَهَد الثدي: إذا ارتفع عن الصَدر وصار له حجم" والارتفاع والنتوء لازم لنهود المرأة لكنه أكثر أصالة في الكعوب وأدلُّ علي نضج الجارية من النهود. وهي المرحلة المناسبة من حيث النضج للنساء أكثر من مرحلة النهود التي قبلها، ولما كان "كاعب" وصفًا خاصًا بالمرأة لم تلحقه هاء التأنيث وجمع على فواعل[1].

(٢) لِدَات: جمع لِدَة وهو التِرب يقال: لِدَة الْإِنْسَان أي: تِرْبه وهو الَّذِي يُولَد مَعَه في وقت واحد، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله، لأنه من الولادة، وَهُوَ الْقيَاس فِي كُلّ كَلمة فِيهَا هاءُ تأْنيثٍ، والتِرب أكثر ما يكون ذلك في المؤنث، وذهب بعض أهل اللغة إلى أن الأَتْرَاب: لاَ يُقَالُ إِلاَّ لِلإِنَاثِ، ويُقَالُ للذُّكُورِ: الأَسْنَانُ والأَقْرَانُ، وأَمّا اللِّدَاتُ فإِنَّهُ يكُونُ للذُّكُورِ والإِنَاث[2].

(٣) فسَّر النسفي الأتراب باللدات مستويات السن، وقد قيل: إن الأتراب مشتق من التراب فقيل لأنه حين يولد يقع على التراب مثل الآخر، أو لأن الترب ينشأ مع لدته في سن الصبا يلعب بالتراب، أو أن أصل المادة يدل على المسكنة والخضوع الكامل فقيل للمستويات السن ذلك باعتبار نفي التفوق والتكبر عنهن، وقيل: مشتق من الترائب تشبيها في التساوي بالترائب وهي ضلوع الصدر فإنها متساوية، ومنهم من فسَّر الأتراب الأمثال أو الأقران قال مرتضى الزبيدي: "وَهُوَ حسنٌ، إِذ لَيست هُنَاكَ وِلادَةٌ"[3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٨)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل (٤/ ١٩٠١).

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري(ولد)٢/ ٥٥٤، ط١ : دار العلم للملايين،بيروت، وتاج العروس(ولد) ٩/ ٣٢٦، و(ترب)٢/ ٦٧.

(٣) تاج العروس للزبيدي (ترب) ٢/ ٦٨)، والتحقيق في كلمات القرآن لحسن المصطفوي (١/ ٤١٥) – مركز آثار المصطفوي.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾ مملوءة[١]

قال الشيخ **ابن عاشور**: "يجوز أن يكون وصفهن بالأتراب بالنسبة بينهن في تساوي السن لزيادة الحسن، أي لا تفوت واحدة منهن غيرها، أي فلا تكون النفس إلى إحداهن أميل منها إلى الأخرى فتكون بعضهن أقل مسرة في نفس الرجل، ويجوز أن يكون هذا الوصف بالنسبة بينهن وبين أزواجهن لأن ذلك أحب إلى الرجال في معتاد أهل الدنيا لأنه أوفق بطرح التكلف بين الزوجين وذلك أحلى المعاشرة"[١].

(١) تفسير الدهاق بالمملوءة تفسير مشهور، وهو بمعنى مترعة وقد نسبه الإمام ابن عطية في تفسيره للجمهور [٢]، وقال ابن عاشور: "ودهاق: اسم مصدر دهق من باب جعل أو اسم مصدر أدهق، ولكونه في الأصل مصدرا لم يقترن بعلامة تأنيث. والدهق والإدهاق ملء الإناء من كثرة ما صب فيه. ووصف الكأس بالدهق من إطلاق المصدر على المفعول كالخلق بمعنى المخلوق فإن الكأس مدهقة لا داهقة، ومركب (كأس دهاق) يجري مجرى المثل قال عكرمة: قال ابن عباس : سمعت أبي في الجاهلية يقول: اسقنا كأسا دهاقا، ولذلك أفرد «كأسا»، ومعناه مملوءة خمرا، أي دون تقتير لأن الخمر كانت عزيزة فلا يكيل الحانوي للشارب إلا بمقدار فإذا كانت الكأس ملأى كان ذلك أسر للشارب"[٣].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٤).
(٢) المحرر الوجيز(٥/ ٤٢٨).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥).

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة[1] .....

(١) يقصد بذلك أن الضمير في: ﴿ فِيهَا ﴾ يعود إلى الجنة المعبر عنها بالمفاز في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾؛ لوقوعه في مقابلة جهنم من قوله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] أو لأنه أبدل حدائق من مفازا، و"فِي" على بابها المشهور بمعنى الظرفية قال ابن عاشور: "أي لا يسمعون في الجنة الكلام السافل ولا الكذب، فلما أحاط بأهل جهنم أشد الأذى بجميع حواسهم من جراء حرق النار وسقيهم الحميم والغساق لينال العذاب بواطنهم كما نال ظاهر أجسادهم، كذلك نفى عن أهل الجنة أقل الأذى وهو أذى سماع ما يكرهه الناس فإن ذلك أقل الأذى"[1].

وفي هذا "أن النعم الواصلة إليهم تكون خالية عن زحمة أعدائهم وعن سماع كلامهم الفاسد وأقوالهم الكاذبة الباطلة"[2].

وجوَّز بعض المفسرين عود الضمير إلى الكأس فهي أقرب مذكور، وتكون "في" للظرفية المجازية أو التعليلية أي: لا يجري بينهم لغو بسبب الكأس التي يشربونها، وذلك لأن أهل الشراب في الدنيا يتكلمون بالباطل، وأهل الجنة إذا شربوا لم يتكلموا بلغو، وجعل ابن عاشور احتمال عود الضمير للأمرين هنا من بديع الإيجاز مع وفرة المعاني وهو من وجوه الإعجاز من جانب =

(١) التحرير والتنوير في تفسيره (٣٠/ ٤٧).
(٢) مفاتيح الغيب للإمام الرازي (٣١/ ٢٢).

حال من ضمير خبر إن[١] ﴿لَغْوًا﴾ باطلاً[٢]

= الأسلوب قلت: لكن القول الأول أعم وأشمل وذلك لأن انتفاء سماع اللغو والكذاب في الجنة يلزم منه انتفاؤه عند شرب الخمر، وقد دلت آيات أخرى على انتفاء اللغو عن الجنة عموما كقوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝٦١ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ﴾ [سورة مريم: ٦١ - ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [سورة الواقعة:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾ [سورة الغاشية:١١] وحمل الفاء على الظرفية الحقيقية أولى - كما لا يخفى، ونفي سماع اللغو فيها يدل على أن أسماع أهل الجنة منزهة عن ذلك، ولا يعني أن فيها لغوا لكنه لا يسمع وإنما المراد انتفاء اللغو مطلقا كما يدل عليه قوله ﷻ: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

(١) خبر ﴿ إِنَّ ﴾ هو قوله ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، أو ما يتعلق به، وقوله: ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: للذين يتقون فالمعنى إن للذين يتقون مفازًا حال كونهم لا يسمعون فيها لغوًا ولا كذابًا، ويجوز أن يكون قوله: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ ﴾ نعتا للمفاز على معنى الجنة كما سبق في عود الضمير، أو أن تكون نعتًا للحدائق وجوز العكبري أن تكون استئنافية[١].

(٢) ثبت تفسير اللغو بالباطل عن عبد الله بن عباس كما عند الطبري[٢]، وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة ﴿ لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ قال: لا باطلا

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٦٧)، والجدول في إعراب القرآن (٣٠/ ٢٢٢) لمحمود صافي. دار الرشيد - دمشق - الطبعة الرابعة.

(٢) جامع البيان (٢١/ ٥٨٨).

﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ الكسائي خفيف[1] بمعنى مكاذبة أي: لا يكذِّب بعضهم بعضا أو لا يكاذبه[2]

ولا مأثما"[1]، وقال قتادة كما عند الطبري: "إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان"[2]، واللغو: ما من شأنه أن يلغى، وأصل اللغو من الكلام: "ما لا يعتدّ به، وهو الذي يورد لا عن رويّة وفكر، فيجري مجرى اللَّغَا، وهو صوت العصافير ونحوها من الطّيور"[3]، ولذا فقد قال الحافظ ابن كثير: "لا يسمعون في الجنة كلاما لاغيا، أي: غثا خاليا عن المعنى، أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف"[4].

(١) قرأ القراء العشرة إلا الكسائي ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ بتشديد الذال، وقرأ الكسائي ﴿وَلَا كِذَابًا﴾ هنا بتخفيف الذال واتفقوا على قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ في هذه السورة أنه بالتشديد؛ لوجود فعله معه[5].

(٢) فـ "كِذَابا" على ذلك "فِعَال" بمعنى المفاعلة وهي هنا المكاذبة فتكون مصدر الفعل كاذب، وهذا معنى قوله: "أو لا يكاذبه"، وقيل: كِذاب "مصدر كذَّب كـ "تكذيب" وهذا معنى لا يكذِّب بعضهم بعضًا، وهناك من ذهب إلى أن «الكِذَاب» بالتخفيف مصدر «كَذَب»، مثل «الكِتَاب» مصدر «كتب»، والصيام: مصدر صام، وقال عنه النحاس: "وهذا أشبه"[6] وقالوا: منه قولُ الشاعر:

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٨٤) – دار الكتب العلمية – بيروت.
(٢) جامع البيان (٢١/ ٥٨٨).
(٣) المفردات للراغب الأصفهاني صـ٧٤٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٧٢٤).
(٥) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٩٧).
(٦) إعراب القرآن (٥/ ٨٥).

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ﴿ جَزَآءً ﴾ مصدر أي: جزاهم جزاء[١] ﴿ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً ﴾ مصدر[٢] أو بدل من جزاء[٣] .....

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها ∴ والمَرْءُ يَنْفَعُه كِذابُه

أي: كذبه، وممن نص على هذا المعنى لـ "كِذابا" الإمام الزمخشري بقوله: "أي: لا يكْذِب بعضُهم بعضا، ولا يُكذِّبه أو لا يكاذبه"[١].

وعليه فالمعنى: لا يسمعون فيها لغوا ولا كذبا ولا تكذيبا ولا مكاذبة من بعضهم لبعض، والمقصود نفي وجود ذلك في الجنة لكمال نعيمها، وسلامة حال أهلها.

(١) وذلك أن قوله تعالى:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ في معنى جازاهم فيكون جزاء مصدرا مؤكدا أو مفعولا مطلقا على هذا المعنى كأنه قيل: جازى المتقين بمَفازٍ[٢].

(٢) عطاء في الأصل: اسم مصدر، والمصدر للفعل "أعطى" إعطاء، لكن قد يتسامح في التعبير عن اسم المصدر، وقوله عن ﴿ عَطَآءً ﴾ مصدر؛ لأن معنى أعطاهم وجزاهم وَاحِد فالمعنى: أعطاهم عطاء"[٣].

(٣) نوع البدل هنا بدل الكل من الكل قال الشيخ إسماعيل حقي: "لأن العطاء والجزاء متحدان ذاتا وإن تغايرا في المفهوم وفى جعله بدلا من جزاء نكتة لطيفة وهى أن بيان كونه عطاء تفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فإن حق البدل أن يكون مقصودا بالنسبة وذكر

(١) الكشاف (٤/ ٦٩٠)، و ينظر أيضا: أنوار التنزيل (٥/ ٢٨١).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٥)، والدر المصون (١٠/ ٦٦٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٥/ ٢٧٥، والإكليل على مدارك التنزيل٧/ ٤٨٩.

﴿حِسَابًا﴾ صفة يعني كافيًا[1].....

المبدل"[1]، ويلاحظ أنَّ الإمام النسفي ذكر المصدرية كوجه، والبدلية كوجه آخر والذي اقتصر عليه كثير من المعربين أنه بدل من ﴿ جَزَآءً ﴾ مع كونه اسم مصدر إذ لا تنافي بينهما؛ لذا فإن العكبري قال: " ﴿عَطَآءً﴾: اسم للمصدر، وهو بـــــدل جزاء "[2]، ولعل هذا أقرب من جعل عطاء منصوبًا بـ "أعطاهم"، لعدم حاجته إلى التقدير، ويلاحظ هنا أيضا أن الإمام النسفي أعرض عن الإعراب الذي اقتصر عليه الإمام الزمخشري وهو أن ﴿ عَطَآءً ﴾ منصوب على المفعولية وناصبه المصدر "جزاء"، وهو إعراب قد اعترض عليه بعض المفسرين كأبي حيان، والشهاب الخفاجي خلافا للقونوي في حاشيته[3].

فائـدة: بالنظر إلى كون هذا الجزاء للمتقين من الوعد لهم على فعلهم فهو جزاء، وبالنظر إلى إنه لا يجب على الله لأحد شيء يكون عطاء وتفضلًا[4].

(١) بيان ذلك أن ﴿ حِسَابًا ﴾ مصدرٌ أو اسم مصدر -والمصدر إحساب- أقيم مُقامَ الوصفِ لـ﴿ عَطَآءً ﴾ بناء على تأويله بالمشتق "مُحسِبا" أو على سبيل المبالغة، أو على حَذْفِ مضافٍ ومنه قولهم أعطاني ما أحسبني أي: ما كفاني، والْكِفَايَةُ يُطْلَقُ عَلَيْهَا حَسْبٌ

(١) روح البيان (١٠/ ٣٠٨).

(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٦٧).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٩٠)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٨٩)، وحاشية القونوي (٢٠/ ٣٦).

(٤) مفاتيح الغيب للإمام الرازي (٣١/ ٢١).

أو على حسب أعمالهم[١]. ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ ﴾ بجرهما ابن عامر وعاصم[٢]

بسكون السِّينِ[١] ونسب ابن عطية هذا القول لجمهور المفسرين واللغويين[٢].

(١) فـ﴿ حِسَابًا ﴾ على هذا القول اسْمُ مَصْدَرِ "حَسَبَ" بِفَتْحِ السِّينِ يَحْسُبُ بِضَمِّهَا، إِذَا عَدَّ أَشْيَاءَ والتنوين فيه للتكثير، والوصف باسم المصدر للمبالغة وهو بمعنى المفعول أي: محسوبا مُقدَّرا، وقوله: "على حسب أعمالهم" بفتح السين أو سكونها، ومعناه: أن في الجنة مراتب ودرجات مختلفة بحسب تفاوت الأعمال والعمال فمن كان عمله متزايدا كما وكيفا كان درجته أرفع فلا يضره كون جزاء الحسنة بعشر أمثالها مثلا، والحساب هنا غير الحساب المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [سورة الزمر: ١٠] فإنه هنا بمعنى التعيين والإعداد للاهتمام بهم، وفي آية الزمر بمعنى التحديد أو التقتير، وثم أوجه أخرى للتفريق بين معنى الآيتين[٣].

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم بجر كلمتي: ﴿ رَّبِّ ﴾، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، ووافقهما من العشرة يعقوب ، وقرأ حمزة والكسائي ووافقهما خلف العاشر بجر كلمة: "ربِّ"، ورفع كلمة "الرحمنُ" ، وقرأ بقية العشرة – نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر – بالرفع فيهما، ويلاحظ أنه لم يذكر قراءة من

---

(١) ينظر: الدر المصون (١٠/ ٦٦٤)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٤٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٨).

(٣) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٣٨)، والتحرير والتنوير (١٨/ ٢٥٠)، و (٣٠/ ٤٧).

بدلاً من ربك[1] ومن رفعهما فربٌّ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ صفته و ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ خبرًا أوهما خبران[2]

جر كلمة "رَبِّ"، ورفع كلمة: "الرحمنُ"[1].

(١) فقوله: ﴿ رَبِّ ﴾ بالجر بدل من قوله: ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ونوعه بدل مطابق، وذهب الزجاج إلى أنه صفة[2]، وأما قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ على قراءة الجر فقد قال الإمام أبو حيان: "والرحمن صفة أو بدل من رب أو عطف بيان، وهل يكون بدلًا من ربك؟ فيه نظر؛ لأنَّ البدل الظاهر أنه لا يتكرر فيكون كالصفات"[3]، وجعل ابن عاشور كلمتي: "رب، والرحمن" نعتين لـ "ربك"[4].

(٢) هذه أربعة أوجه ذكر الإمام النسفي في إعراب كلمتي: "رب"، و"الرحمن" على قراءة من رفعهما وهي - كما ذكرها - : ـ

الأول: أن يكون قوله: "ربُّ" خبرا لمبتدأ محذوف هو ضمير يعود على قوله: من ربك [النبأ: ٣٦] وذلك أنه جارٍ في استعمال البلغاء إذا وقع في الكلام وصف ونحوه لموصوف ثم ورد ما يصلح أن يكون خبرا عنه أو نعتا له فيختار المتكلم أن يجعله خبرا لا نعتا، فيقدر ضمير المنعوت ويأتي بخبر عنه وهو ما يسمى بالنعت المقطوع، وعلى ذلك

---

(١) ينظر: السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد صـ ٦٦٩ - دار المعارف - مصر، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٩٧).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٥).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٣٩٠).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩).

يكون قوله «الرحمنُ» كذلك، أو مبتدأٌ خبرُه ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾.

الثاني: أن يكون قوله: "ربُّ" مبتدأ، وقوله: "الرحمن" خبرا له، وعلى ذلك فقوله: "﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ خبرٌ ثانٍ، أو مستأنفٌ

الثالث: أن يكون "ربُّ" مبتدأً أيضـًا و "الرحمنُ" نعتُه، و ﴿لَا يَمْلِكُونَ ﴾ خبرُ "رَبُّ".

الرابع أن يكون قوله: "رب" مبتدأ، وقوله: "الرحمن" خبرا أول، وقوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ خبرا ثانيا، وهناك أوجه أخرى ذكرها المفسرون والمعربون، وبقي توجيه قراءة من قرأ بجر كلمة "رب"، ورفع كلمة: "الرحمن" وهو أن جر الأول "ربِ" على البدلية أو النعت، ورفع الثاني: "الرحمنُ" على الابتداءِ، والخبرُ الجملةُ الفعليةُ، أو على أنه خبرُ مبتدأ مضمرٍ، و ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ مستأنفة، أو الخبرِ الثاني، أو الحالِ اللازمةِ[1].

(١) اختار الإمام النسفي متابعًا في ذلك الإمام الزمخشري أن الضمير يعود على أهل السماوات والأرض وقد دل عليه ذكرهما قبلُ[2] وهو ما رجحه الإمام الرازي حيث قال: "وهذا هو الصواب، فإن أحدا من المخلوقين لا يملك مخاطبة الله ومكالمته. وأما الشفاعات الواقعة بإذنه فغير واردة على هذا الكلام لأنه نفى الملك والذي يحصل بفضله وإحسانه، فهو غير مملوك، فثبت أن هذا السؤال غير لازم"[3].

---

(١) ينظر: الدر المصون (١٠/ ٦٦٥).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٩١).

(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٤).

وفي ﴿مِنْهُ خِطَابًا﴾ لله تعالى[1] أي: لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه[2]

وذهب بعض المفسرين ومنهم ابن عطية إلى أن الضمير للكفار أي: لا يَمْلِكُونَ من أفضاله وأجماله أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها، وهذا في موطن خاص[1].

(١) عود الضمير في: ﴿مِنْهُ﴾ إلى الله لا إشكال فيه، والمقصود هنا ما تقدم في قوله ﷻ: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من ذكر الرب، والرحمن، وفي ذكر الرحمن، وعود الضمير عليه لأن في معناه إيماء إلى أن ما يفيضه من خير على المتقين في الجنة هو عطاء رحمان بهم، وفي ذكر هذه الصفة الجليلة تعريض بالمشركين إذ أنكروا اسم الرحمن الوارد في القرآن كما ذكر الله عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠][2].

(٢) هذا أحد الأقوال المشهورة في تفسير قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه، وفيه تعيين للخطاب وتخصيص له وهو أنه في الشفاعة وهي مملوكة لله يأذن بها لمن شاء قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[سورة الزمر: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، وليس في الآية هنا دليل على منع الشفاعة؛ لأن الخطاب المنفي هنا خطاب الاعتراض، ومن يشفع فإنه يشفع بإذن الله فالخطاب ليس عاما، وإنما هو خاص بخطاب الاعتراض، أو أنه خاص ببعض الأوقات، أو ببعض الأشخاص وهم المشركون فإنه لا شفاعة فيهم قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٨).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩).

أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفًا[١].

شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [سورة المدثر: ٤٨]، وعلى كلٍّ فليس في الآية دليل على نفي الشفاعة في حق الموحدين لتضافر النصوص على إثباتها لمن يأذن الله ويرضى[١].

(١) هذا قول ثان في معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، وقد نقل بعض المفسرين كالواحدي عن مقاتل أنه قال: "لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه"[٢]، و ﴿خِطَابًا﴾ معناه على ذلك: كلاما فهم لا يملكون ولا يقدرون على الكلام معه إلا بإذنه خوفا منه، والخطاب مشهور تفسيره بالكلام [٣] لكن قيل في الفرق بينهما أن الخطاب يأتي بمعنى مراجعة الكلام، فيكون أخص من الكلام إذ يكون اسمًا لما يتردد بين المتكلمين من ابتداء وجواب، والكلام إذا تضمن المسألة قيل فيه: خطاب[٤].

وعلى كلٍّ فتخصيص ذلك بإذن الله دل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [سورة هود: ١٠٥]، وقوله تعالى بعدها هنا : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾، لا سيما مع القول بأن جملة ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ مؤكدة لجملة ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾، وقد جاء بعدها الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[٥].

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٣٩).

(٢) التفسير البسيط للواحدي (٢٣/ ١٤٥).

(٣) قال به قتادة، ومجاهد فيما أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٦) عنهما .

(٤) ينظر: التفسير البسيط (١١/ ٤١١).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١).

عظمة الله تعالى ونفوذ قدرته وتحذير العباد من عذابه :

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ إن جعلته ظرفا لـ ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ لا تقف على ﴿ خِطَابًا ﴾ وإن جعلته ظرفًا لـ ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ تقف[1] ﴿ ٱلرُّوحُ ﴾ جبريل عند الجمهور[2]

---

(١) وذلك أن "يوم" في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ ظرف منصوب يحتمل أن يكون متعلقًا بقوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ فيكون وصله من تتمة الكلام، قال القونوي عن هذا الوجه: "وهو الظاهر إذ الخطاب إنما يكون في ذلك اليوم إن وجد الخطاب..."[1]، ومعنى قول الإمام النسفي: "إن جعلته ظرفا لـ ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ فلا تقف" أي: لا يكون الوقف حينئذ كافيا لتعلقه بما بعده لفظا ومعنى، لا أنه ممتنع لأنه رأس آية، والوقف الكافي: ما تم معناه في نفسه وتعلق بما بعده معنى لا لفظا بخلاف الحسن فإنه متعلق لفظا ومعنى ، ويحتمل أن يكون ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ متعلقا بما بعده وهو قوله: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾، وحينئذ فالوقف على قوله: ﴿ خِطَابًا ﴾ هو المختار؛ وجعله الأشموني حينئذٍ من الوقف الكافي وتعريفه عنده: أن يتصل ما بعده بما قبله معنى لا لفظًا، ولا يخفى أن الآية بعده مقررة لمعنى قوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ مؤكدة له[2] فبينهما كمال اتصال.

(٢) تفسير الروح هنا بجبريل عليه السلام روي عن بعض التابعين كالشعبي =

---

(١) حاشية القونوي (٢٠/ ٤٢).

(٢) منار الهدى للأشموني (٢/ ٣٩٠).

وقيل: هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقًا أعظم منه[١]

= والضحاك وغيرهما وإن كانت الأسانيد إليهم لا تخلو من مقال كما عند الطبري في تفسيره[١]، ويشهد لهذا القول إطلاقُ روح القدس على جبريل ﷺ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة النحل: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]، والمناسبةُ بينه وبين الملائكة، ويكون تخصيصه بالذكر قبل ذكر الملائكة تشريفا له وتنويها بعلو قدره ، وذكرالملائكة بعده من باب ذكر العام بعد الخاص؛ للتنصيص على شمول الحكم لجميع الملائكة.

(١) أخرج الطبري في تفسيره بسند حسن من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "هو ملك أعظم الملائكة خلقا"[٢]، ومنهم من قال: هي أرواح بني آدم، والروح على ذلك اسم جنس وذهب الحافظ ابن كثير في تفسيره إلى أنه الأشبه[٣]، ومنهم من قال: الروح: القرآن إلى غير ذلك، وقال الطبري في تفسيره: " والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطابا، يوم يقوم الروح، والروح: خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أي ذلك هو؟ ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره، يجب التسليم له، ولا حجة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به"[٤]، وقال الألوسي: "ولم يصح عندي فيه هنا شيء"[١].

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣١٠).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٥٠).

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ حال أي: مصطفين[1] ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلائق ثَمَّ خوفا[2]

(١) إطلاق الصف وهو مصدر لـ "صفًّ" على المصطفين من إطلاق المصدر على اسم الفاعل فصلح أن يكون حالا، وأصله للمبالغة ثم صار اسما، قال ابن عاشور – في تفسيره: "والصف اسم للأشياء الكائنة في مكان يجانب بعضها بعضا كالخط... وإنما يصطف الناس في المقامات التي يكون فيها أمر عظيم فصف الملائكة تعظيم لله وخضوع له"[2]، وقوله تعالى: ﴿ صَفًّا﴾ يحتمل على ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره أن يكون المعنى أن الروح على الاختلاف في تفسيره، وجميع الملائكة يقومون صفا واحدا، ويجوز أن يكون المعنى يقومون صفين، ويجوز صفوفا كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر: ٢٢][3].

(٢) جعل الإمام النسفي الضمير في ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ عائدا على الخلائق – ويدخل فيهم الروح والملائكة – الذين عاد عليهم الضمير في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ وذلك على اعتبار أن الجملة ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ مقررة لها ومؤكدة فيكون الضمير فيهما متفقا، ويتوجه ذلك على قول من جعل قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ متعلقا بقوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾، وأما من جعل قوله ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ متعلقًا بقوله: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ فيترجح عود الضمير على الروح والملائكة لا على عموم الخلائق؛ لأن عود الضمير إلى الأقرب أولى إلا لدليل،وهو ما رجحه الرازي في تفسيره[4]، ولا يعني ذلك خلو الجملة من معنى التقرير والتأكيد لقوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ فإنه إذا لم يتكلم هؤلاء مع منزلتهم عند الله وسلامتهم من الوقوع في المعاصي فكيف الحال بغيرهم من الخلائق؟!

(١) روح المعاني للآلوسي (١٥/ ٢٢٠).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢).
(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٥).
(٤) المصدر السابق (٣٠/ ٢٥).

﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ في الكلام أو الشفاعة[١] ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ حقاً[٢]

(١) جعل الإمام النسفي الإذن في الآية متعلقا بالكلام أو الشفاعة بناء على أن مرد الكلام إلى قوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾، وقد سبق أن الخطاب فُسِّر بهذين الأمرين الشفاعة، والكلام، ومن اكتفى بالنظر إلى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ مع جعله الضمير عائدًا على الروح والملائكة فالأظهر عنده أن الإذن متعلق بالكلام؛ لأنه المذكور في الآية الكريمة، ويكون كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [سورة هود: ١٠٥]، ومع ذلك فإن الشفاعة داخلة لأنها نوع من الكلام قال ابن عاشور في تفسيره: "إنه إذا نفي تكلمهم بدون إذن نفيت شفاعتهم إذ الشفاعة كلام من له وجاهة وقبول عند سامعه"[١].

(٢) تفسير الصواب بالحق قال به بعض المفسرين، وهو مروي عن مجاهد حيث أخرج الطبري في تفسيره عنه أنه قال: "﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨] قال حقًا في الدنيا، وعمل به"، وقال آخرون الصواب: قول لا إله إلا الله قال ابن الجوزي: "وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسرين"[٢]، وقد جمع بعض المفسرين بينهما فقال أبو السعود في تفسيره: "صوابًا أي: حقًّا هُو التوحيدُ"[٣]، ولعل في إيثار التعبير بـ"صوابا" -زيادة على مراعاة الفواصل لما قبلها:"حسابًا - خطابًا.."- إشارة إلى أنه قول تحرى فيه صاحبه موافقة الحق وأنه مريد وقاصد له، وأنه سيجني ثمرة قوله[٤] كما أن فيه دلالة على حسن هذا القول[١].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢٤/ ٥١).
(٣) إرشاد العقل السليم (٩/ ٩٤).
(٤) يقال: أصاب بمعنى قصد وأراد وقد تأتي بمعنى وجد[ينظر: تاج العروس (صوب) ٣/ ٢١٣-٢١٨،والمعجم الاشتقاقي المؤصل:صوب(٣/ ١١٨٧).

بأن قال المشفوع له لا إله إلا الله في الدنيا[1] أو لا يؤذن إلا لمن يتكلمُ بالصواب في أمرِ الشفاعة[2]

(١)على هذا القول يكون قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ حالًا من الاسم الموصول في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: أي وقد قال المأذون له في الكلام صوابًا. قال الإمام الرازي: "تقديره: لا يتكلمون إلا في حق من أذن له الرحمن وقال صوابا،أي لا يشفعون إلا في حق شخص أذن له الرحمن في شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال صوابًا، واحتج صاحب هذا التأويل بهذه الآية على أنهم يشفعون للمذنبين لأنهم قالوا صوابًا وهو شهادة أن لا إله إلا الله..."[2]، ومن قال صوابا هم من ارتضاهم الله كما في: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]، ويمكن أن يقال في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [سورة النجم: ٢٦] أي: يرضى عن الشافع والمشفوع له.

(٢)على هذا القول يكون قوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ عطفًا على جملة ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، أي: وإلا من قال صوابا فإن قيل: لما أذن له الرحمن في ذلك القول، علم أن ذلك القول صواب لا محالة، فما الفائدة في قوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾؟ أجاب الإمام الرازي عن ذلك فقال: "إن الرحمن أذن له في مطلق القول ثم إنهم عند حصول ذلك الإذن لا يتكلمون إلا بالصواب، فكأنه قيل: إنهم لا ينطلقون إلا بعد ورود الإذن في الكلام، ثم بعد ورود ذلك الإذن يجتهدون، ولا يتكلمون إلا بالكلام الذي يعلمون أنه صدق وصواب، وهذا مبالغة في وصفهم بالطاعة"[3].

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٥٤، ط. دار العلم والثقافة ، القاهرة – مصر.
(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٥).
(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٥).

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ الثابتُ وقوعُه[١] ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ مرجعًا بالعمل الصالح[٢]

(١) والمقصود به يوم القيامة كما يدل عليه السياق، وتفسيره بالثابت الواقع يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [سورة الذاريات: ٦]، وبهذا المعنى يقال: إن الله حق، أي هو ثابت لا يجوز عليه الفناء، وثم أقوال أخرى في وصف اليوم بالحق فقيل: يراد بالحق ما قابل الباطل، أي: العدل وفصل القضاء فيكون وصف اليوم به على وجه المجاز العقلي إذ الحق يقع فيه واليوم ظرف له قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ [الممتحنة: ٣]، وأيام الدنيا باطلها أكثر من حقها، وقيل: الحق بمعنى الحقيق بمسمى اليوم على معنى أنه ذلك اليوم الذي يحق له أن يقال: يوم، ففيه تبلى السرائر وتنكشف الضمائر[١].

(٢) سبق الكلام على أصل المآب ومعناه عند قوله تعالى: ﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴾ والمقصود هنا وعظ الإنسان، وترغيبه في العمل الصالح، والفاء في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ﴾ فصيحة تفصح عن شرطٍ مقدر قال العلامة أبو السعود: "كأنَّه قيلَ وإذا كان الأمر كما ذُكرَ منْ تحققِ اليومِ المذكورِ لا محالةَ فمن شاءَ أن يتخذَ مرجعًا إلى ثوابِ ربِّه الذي ذُكِرَ شأنُه العظيمُ فعلَ ذلكَ بالإيمانِ والطاعةِ"[٢]، وقال ابن عاشور: "وهذا التفريع من أبدع الموعظة بالترغيب والترهيب عند ما تسنح الفرصة للواعظ من تهيؤ النفوس لقبول الموعظة"[٣].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ٢٥)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣).
(٢) إرشاد العقل السليم (٩/ ٩٤).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤).

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾ أيها الكفار[1] ﴿عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ في الآخرة لأنَّ ما هو آتٍ قريب[2]

(١) جَعل الخطاب في ﴿أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾ للكفار وهو قول بعض المفسرين كجلال الدين المحلي[1]، وذهب بعض المفسرين إلى أن الإنذار عام فالمؤمن يُنذَر كما أن الكافر يُنذر قال ابن عطية: "هو لجميع العالم وإن كانت المخاطبة لمن حضر النبي ﷺ من الكفار... والجميع داخل في النذارة منه"[2]، ولعل هذا أقرب لعمومه، والإنذار تخويف لا إخبار بأنهم من أهلها فلا دلالة على الاختصاص وقد قال تعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [سورة يونس: ٢]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [سورة الزمر: ١٦].

(٢) تفسير العذاب القريب بعذاب الآخرة قول الأكثرين، قال أبو السعود: "وقربه لتحقيق إتيانِه حَتْمًا ولأنَّه قريبٌ بالنسبة إليه تعالى وإنْ رَأَوْه بعيداً وسيرونَهُ قريبًا لقولِه تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾"[3]، وقيل: هو عقوبةُ الدُّنيا لأنَّه أقربُ العذابينِ.

قال القرطبي: "والأظهر أنه عذاب الآخرة، وهو الموت والقيامة، لأن من مات فقد قامت قيامته، فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة، وإن كان من أهل النار رأى الخزي والهوان؛ قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ بيَّن وقت ذلك العذاب، أي أنذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم، وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، أي يراه"[4].

(١) تفسير الجلالين صـ ٧٨٩.
(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٩).
(٣) إرشاد العقل السليم (٩/ ٩٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٨٨).

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ ﴾ الكافر قوله: ﴿ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ من الشرِّ لقوله: ﴿ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ وتخصيص الأيدي لأنَّ أكثرَ الأعمالِ تقعُ بها وإن احتمل أن لا يكون للأيدي مدخلٌ فيما ارتكبَ من الآثام(١) ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم(٢) أو المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير وشر(٣)

(١) فيكون في ذلك تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه حيث ذكر اليدان لأن أكثر الأعمال تزاول بهما فجعل الجميع كالواقع بهما تغليبا(١) ونحو هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [سورة الشورى:٣٠] .

(٢) هذا يصلح على تفسير المرء بالكافر، وتخصيصه به ووجه وضع الظاهر موضع المضمر أنه لم يقل: ويقول يا ليتني" ويكون الفاعل الذي هو القائل ضميرا مستترا يعود على المرء على تفسيره بالكافر لكنه صرح بالقائل فقال: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ ﴾ والسر في ذلك زيادة الذم، وتسجيل الكفر عليه، وبيان أن الكفر سبب هذا الجزاء.

(٣) هذا قول ثانٍ في بيان المراد بالمرء هنا وهو القول بالعموم فيشمل المؤمن والكافر فالمؤمن يرى ما قدم من خير والكافر يرى ما قدم من شر، ثم جاء التخصيص ببيان حسرة الكافر وتمنيه أن يكون ترابا قال الإمام الرازي: "الأظهر أن المرء عام في كل أحد، لأن المكلف إن كان

(١) روح المعاني (١٥/ ٢٢٢) والمراد بأسلوب التغليب "إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بأن يجعل الآخر موافقًا له في الهيئة أو المادة"[بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح(١/ ١٧٣)- المؤلف: الشيخ عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ)- الناشر: مكتبة الآداب،ط١٧: ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م].

أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير[٢]

قدم عمل المتقين، فليس له إلا الثواب العظيم، وإن كان قدم عمل الكافرين، فليس له إلا العقاب الذي وصفه الله تعالى، فلا رجاء لمن ورد القيامة من المكلفين في أمر سوى هذين... فطوبى له إن قدم عمل الأبرار، وويل له إن قدم عمل الفجار"[١]، قال ابن جزي: "والعموم أحسن، لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [سوة الزلزلة: ٧ – ٨]"[٢].

قلت: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [سورة آل عمران: ٣٠].

(٣) هذا قول ثالث في بيان المراد بالمرء في الآية الكريمة وأنه المؤمن وهذا مروي عن الحسن البصري، واختاره بعض المفسرين كالطبري[٣]، وحجتهم أن الله تعالى ذكر في مقابله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ فيكون المرء بخلاف ذلك وهو المؤمن فإنه يحذر الصغيرة ويخاف الكبيرة، ولم يذكر الله قول المؤمن فقيل: إنه مقدر كأنه قال: يا ليتني قمت قبل هذا.

(٤) **قال الطيبي:** "فإن قلت: لم خص قول الكافرين دون المؤمنين؟ قلت: دل قول الكافرين على غاية الخيبة ونهاية التحسر، ودل حذف قول المؤمن على غاية التبجح ونهاية الفرح مما لا يحيط به الوصف"[٤]، وقوله: غاية التبجح: أي: غاية الفخر والفرح والمباهاة[٥].

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ٢٦).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٤٧).
(٣) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٥٤).
(٤) فتوح الغيب للطيبي (١٦/ ٢٧١).
(٥) ينظر: لسان العرب–حرف الجيم– فصل الباء–مادة: بجح(٢/ ٤٠٦).

وما استفهاميةٌ منصوبةٌ بقدَّمتْ أي: ينظر أيَّ شيء قدمت يداه[(١)].
أو موصولة منصوبة بـ ﴿ يَنظُرُ ﴾[(٢)] يقال: نظرته يعني نظرتُ إليه والراجع من الصلة محذوف أي: ما قدمته[(٣)].
﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَا ﴾ في الدنيا فلم أُخْلَقْ ولم أُكَلَّفْ[(٤)] ، أو ليتنى كنت

---

(١) على القول بأن ﴿ مَا ﴾ استفهامية فهي منصوبه لها الصدارة وعامل النصب فيها قوله تعالى: ﴿قَدَّمَتۡ﴾، وعلى ذلك تكون هذه الجملة مُعلِّقَةً لـ ﴿يَنظُرُ﴾ على أنَّه من النظر؛ لأنّ النظر طريق للعلم أو المراد به العلم هنا فتكونُ الجملةُ في موضعِ نصبٍ على إسقاط الخافضِ[(١)].

(٢) على القول بأن ﴿مَا﴾ موصولةً بمعنى الذي فهي في موضع نصب مفعول، وناصبه الفعل: ﴿يَنظُرُ﴾ أي: ينظر إلى، أو بمعنى ينتظر، ويكون قوله: ﴿قَدَّمَتۡ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، والعائد مقدر أي: "الذي قدمته"، والقول بأنها موصولة رجحه القونوي في حاشيته، واقتصر عليه بعض المعربين[(٢)].

(٣) وهذا على تفسير ﴿ مَا ﴾ في قوله: ﴿ مَا قَدَّمَتۡ ﴾ بأنها موصولة بمعنى الذي؛ لأن جملة الصلة يلزمها رابط يعود على الاسم الموصول، وحذفه هنا مشهور، والتقدير "قدمته" وموقعه النصب على المفعولية قال ابن مالك:

.... والحذف عندهم كثيرٌ منجلي
في عائد متصلٍ إن انتصب بفعلٍ أو وصف كمن نرجو يهب

(٤) فيكون قوله: ﴿ كُنتُ تُرَٰبَا ﴾ على بابها بمعنى الماضي في الدنيا قال سبحانه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ [سورة الإنسان:١].

---

(١) ينظر: الدر المصون (١٠/ ٦٦٦)، وحاشية القونوي (٢٠/ ٤٥).
(٢) حاشية القونوي (٢٠/ ٤٥).

ترابًا في هذا اليوم فلم أُبْعث[1]، وقيل: يحشرُ اللهُ الحيوانَ غيرَ المكلفِ حتى يُقتصَّ للجمَّاء[2] من القرناء ثم يرده ترابًا؛ فيودُّ الكافرُ حالَه[3].

وقيل: الكافر إبليسُ يتمنى أن يكونَ كآدمَ مخلوقًا من التراب ليُثابَ

(١) إذ التراب لا حساب عليه ولا جزاء، بل إليه يصير أمر البهائم كما في الآثار، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ [سورة الحاقة: ٢٥ – ٢٧].

(٢) الجَمَّاء: التي لا قرن لها، وهي الجلحاء أيضًا ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث[1]، وهو قول أهل اللغة، ويدل لهذا القصاص قوله ﷺ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[2].

(٣) يشهد لذلك ما ثبت عن أبي هريرة، في قوله عز وجل: ﴿ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣٨] قال: "يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطير، وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول:كوني ترابًا فلذلك ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]"[3].

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٢٨٤، ٣٠٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بتبويب النووي من حديث أبي هريرة ط. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٧٧حديث ٢٥٨٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٣٥)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٤٥ حديث ٣٢٣١) وقال: «جعفر الجذري هذا هو ابن برقان، قد احتج به مسلم وهو صحيح على شرطه ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي قلت: وهو – وإن كان موقوفا فله حكم الرفع فإنه لا يقال من قبيل الرأي، وقد روي مرفوعا أيضا عند الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٥) عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا ترابا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت

ثوابَ أولاده المؤمنين[١] والله أعلم.

(١) قال الإمام الثعلبي: "وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: رأيت في بعض التفاسير أنَّ الكافر هاهنا إبليس وذلك أنه عاب آدم بأنه خلق من تراب وافتخر بأنه خلق من النار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والراحة والرحمة ورأى ما هو وذويه فيه من الشدّة والعذاب تمنّى أنه بمكان آدم فيقول حينئذ: لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا" هكذا يقول وقد احتقر آدم من قبل وقال: "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين"[١].

وقال الشهاب: "وهو كلام حسن ووجه وجيه، وإن بعد من السياق"[٢].

وما أجمل ما ختم به الإمام البقاعي تفسير السورة الكريمة مبينًا المناسبة بين فاتحتها وخاتمتها حين قال في نظم الدرر: "قد علم أن ذلك اليوم في غاية العظمة وأنه لا بد من كونه، فعُلِم أن التساؤل عنه للتعجب من كونه من أعظم الجهل، فرجع آخرها على أولها، وانعطف مفصلها أي انعطاف على موصلها، واتصل مع ذلك بما بعدها أي اتصال، فإن المشرف بالنزع على الموت يرى كثيراً من الأهوال والزلازل والأوجال التي يتمنى لأجلها أنه كان منقطعًا عن الدنيا ليس له بها وصال يومًا من الأيام ولا ليلة من الليال - والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب"[٣].

وبهذا أكون قد انتهيت من **التعليق على تفسير الإمام النسفي** لهذه السورة الكريمة راجيًا من الله القبول، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ترابا" لكن في سنده ضعف ففيه إسماعيل بن رافع المدني قال فيه الذهبي في الكاشف [(١/ ٢٤٥) - دار القبلة للثقافة الإسلامية]: "ضعيف واهٍ"، وأيضاً فيه راوٍ مجهول، وهناك رواية أخرى موقوفة عن عبد الله بن عمرو م أخرجها الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٤) في المعنى نفسه، وعلتها أبو المغيرة القواس الراوي عن عبد الله بن عمرو فقد اختلف في توثيقه، وممن وثقه ابن معين على ما ذكر ابن أبي حاتم في [الجرح والتعديل (٩/ ٤٣٩) ، فلا شك في ثبوت هذا المعنى، وصحته بتلك الروايات - نسأل الله أن يحيينا على الإسلام وأن يميتنا على الإيمان - .

(١) تفسير الثعلبي (٤/ ٤٧٥).

(٢) حاشية الشهاب (٨/ ٣١٠).

(٣) نظم الدرر (٢١/ ٢١٦).

القيمة العلمية
لتفسير الإمام النسفي لسورة النبأ

الإمام النسفي ما له وما عليه في تفسير سورة النبأ :

تبينت لي جملة من الأمور -في أثناء تعليقي على تفسير الإمام النسفي لهذه السورة الكريمة ومقارنة تفسيره بمن كثرت إفادته منهم كالإمام الزمخشري- تبرز القيمة العلمية لتفسير الإمام النسفي لهذه السورة الكريمة، وتجلي مواضع التميز والإجادة ، كما تقف على مواضع النقد فيه.

ولما كان هذا المبحث تذكرة للقارئ بما تقدم في التعليقات وجمعا لما تفرق فيها؛ فإنني اكتفيت بالإحالة -غالبا- على موضع المثال من التعليقات رغبة في الإيجاز

ودونك بيانًا لذلك فيما يأتي:

أولا : أبرز المحاسن في تفسير الإمام النسفي لهذه السورة الكريمة

١- مراعاة السياق في اختيار الأوجه التفسيرية ، حيث ظهر لي بتدقيق النظر في الأقوال التي اختارها أو اقتصر عليها الإمام النسفي أنه كان يراعي سياق الآيات، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- اقتصاره على تفسير النبأ العظيم بالبعث -مع أن غيره كالزمخشري ذكر قولين آخرين، واختار بعضهم العموم - مراعاةً لسياق الآيات إذ الحديث بعدها خالص في ذلك بذكر الآيات الدالة على قدرته سبحانه على البعث، وبيان ما يكون في يوم الفصل، وما يعقبه من جزاء[(١)].

ب- **اقتصاره في تفسيره** السبات في سورة النبأ على أنه بمعنى قطع

(١) ينظر: التعليق رقم(١)صـ١٥

الأعمال وراحة الأبدان وإعراضه عن تفسير السبات بالموت كما هو ترجيح الزمخشري، وهو القول الثاني للنسفي في تفسير سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [سورة الفرقان: ٤٧] إذ قال فيها عن تفسير السبات بالموت:" ويعضده ذكر النشور في مقابلته"[(١)]، ولكن في تفسير سورة االنبأ لم يعرض لهذا القول أساسا فيظهر لي أنه راعى مقابلة السبات بالمعاش الذي يتقلبون فيه لحوائجهم ومكاسبهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾[سورة النبأ:٩]. [(٢)] .

٢- **اعتناء الإمام النسفي بذكر أوجه الاختلاف في القراءات السبعة** مع نسبة القراءة لأصحابها، وذلك في كلمة"وفُتحَت" في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾[سورة النبأ:١٩] ، وكلمة "لابثين" في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾[سورة النبأ:٢٣]، وكلمة "غساقا" في قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾ [سورة النبأ: ٢٥]، وكلمة"ولا كذابا" في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا﴾ [سورة النبأ:٣٥]، وكلمتي"رب"، و"الرحمن" في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾ [سورة النبأ:٣٧]، وإن فاته قراءة منها في هذا الموضع[(٣)].

٣- **الإعراض عن أحايث موضوعة** ذكرها كثير من المفسرين، وهذا جاء في تفسيرسورة النبأ في موضعين :

---

(١) مدارك التنزيل (٢/ ٥٤١).

(٢) ينظر: التعليق رقم(١)صـ٢٧

(٣) ينظر: التعليق رقم (٢) صـ٩٦]

أحدهما : في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [سورة النبأ:١٨]حيث أورد الثعلبي والزمخشري والبيضاوي حديثا حُكِم عليه بالوضع فأعرض عنه النسفي فأحسن في ذلك [(١)].

والآخر : حديث فضائل السور الذي درج بعض المفسرين كالزمخشري والبيضاوي على إيراد ما يخص كل سورة منه في أول السورة كصنيع الثعلبي، أو آخرها كصنيع الزمخشري والبيضاوي فأضرب إمامنا عن ذلك صفحا فأجاد.

٤- **اختيار الأوجه الإعرابية السالمة من الاعتراض**، وقع ذلك في تفسير سورة النبأ عند إعراب كلمة" عَطَاء" في قوله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[سورة النبأ:٣٦] حيث أعربها الإمام مصدرا أو بدلا من "جزاء"، وأعرض عن الإعراب الذي اقتصر عليه الزمخشري وذكره البيضاوي وهو أن"عطاء" مفعول لـ"جزاء"؛ للاعتراض عليه لدى بعض أهل اللغة حيث رأوا أن"جزاء" مصدر مؤكد لما قبله فلا يكون عاملا[(٢)].

٥- **ذكر المناسبة بين الآيات** في بعض المواضع، ومن الأمثلة على ذلك: ربطه بين الآيات التي ذكرها الله -سبحانه- للتذكير ببعض عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته تعالى على البعث، وما قبلها من آيات تتحدث عن النبأ العظيم وتساؤل الناس عنه واختلافهم فيه، وهو- أعني النسفي-قد اعتمد في ذلك على كلام الزمخشري لكن أتى به على طريقة السرد لا على طريقة السؤال والجواب **"فإن قلتَ"**

(١) ينظر: التعليق رقم (٢) صـ٥٣

(٢) ينظر: التعليق رقم (٣) صـ٩٤-٩٥

التي هي طريقة الزمخشري كثيرا[١].

وهناك مناسبة ذكرها مقتضبة ولم يذكرها الإمام الزمخشري وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [سورة النبأ: ٢٧] حيث قال: " ثم استأنف معللا"[٢].

٦- **العناية ببيان ما في آيات السورة الكريمة من أساليب بلاغية** وعمدته في ذلك الإمام الزمخشري في كشافه فمن ذلك ذكر أسلوب الاعتراض [٣]، والالتفات [٤]، ووضع الظاهر موضع المضمر [٥].

٧- **الاهتمام بعلم الوقف والابتداء**، وبيان ما يوقف عليه وما لا يوقف [٦]، وبعض ما ذكره الإمام في ذلك لم يتعرض له كثير من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي، وفي تفسير الإمام النسفي من ذلك الكثير وفيه تكرير عبارة: " **ولا وقف على.....**"

ومن ذلك قول الإمام النسفي هنا: " ولا وقفَ من ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ إلى ﴿أَلْفَافًا﴾ والوقفُ الضروريُّ على ﴿أَوْتَادًا﴾ ﴿مَعَاشًا﴾ "[٧].

٨- **تحريه فيما ينقله عن الإمامين الزمخشري والبيضاوي**، وتمحيصه لما يورده تبعا لهما فلم يكن – ممن ينقل بلا تمحيص بل كانت له

---

(١) ينظر: التعليق رقم (١) صـ٢٣-والتعليق رقم (١) صـ٢٤

(٢) مدارك التنزيل (٣/ ٥٩٢)، وينظر: التعليق رقم (٢) صـ٧٦

(٣) ينظر: التعليق رقم (٢) صـ٨١

(٤) ينظر: التعليق (١) صـ٨٣ وفيه مناقشة لما ذهب إليه من أسلوب الالتفات في الآية تبعا للإمام الزمخشري.

(٥) ينظر: التعليق (٢) صـ١٠٨

(٦) ينظر: صـ٤٨، وصـ٤٩، وصـ١٠١

(٧) مدارك التنزيل (٣/ ٥٩٠)، وينظر: التعليق رقم (١) صـ٤٨، ٤٩.

اختياراته، وطريقته التي تميزه، ومن صور ذلك في تفسير السورة الكريمة:

أ- تقديم قول أخره الزمخشري (١)

ب- الاستغناء عن أقوال ذكرها الإمام الزمخشري كأوجه تفسيرية لكنها محل نظر، وإعراضه عن روايات لا تصح أوردها الزمخشري والبيضاوي (٢)

ت_ اختيار وجه مخالف لاختيار الإمام الزمخشري (٣)،

ث- إضافة لبعض المعاني والأوجه التفسيرية على ما ذكره الزمخشري والبيضاوي (٤)

---

(١) وذلك في تفسير المرصاد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [سورة النبأ:٢١] ينظر: التعليق (١) صـ٦٠، وفي أصل كلمة ألفافا في قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾[سورة النبأ:١٦] ينظر صـ٤٦-٤٧

(٢) أعرض الإمام النسفي -موافقا الإمام البيضاوي ومخالفا الإمام الزمخشري- عن تفسير المعصرات بالسماء كوجه تفسيري في قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [سورة النبأ:١٤] ينظر: التعليق (٢) صـ٣٩، وينظر ما تقدم في العنصر الثالث صـ١١٦

(٣)كاختياره واقتصاره على أن السبات قطع الأعمال وراحة الأبدان، والمعاش وقت معاش تتقلبون فيه، واختياره إعرابا في **"عَطاءً" من قوله تعالى:**﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[سورة النبأ:٣٦] وتقدم الكلام عنهما قريبا صـ١١٥-١١٦

(٤) من ذلك تفسير الرجاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾[سورة النبأ:٢٧]، ونقله عن بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾ [سورة النبأ:٢٣]**ينظر: التعليق (٢)صـ٦٥**، وزيادة وجه تفسيري في معنى شدادا في قوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾[سورة النبأ:١٢] **ينظر: التعليق(٢)صـ٣٣**، وفي معنى الميقات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾ [سورة النبأ:١٧] [ينظر: التعليق(٢)صـ٥١].

ثانيا: أبرز ما يؤخذ على الإمام في تفسيره لسورة النبأ:

١- **المأخذ العام:** تأثره البالغ بتفسير الكشاف للإمام الزمخشري، واختصاره لعباراته ، ويبدو لي أن هذا التأثر واضح، ولا ينبغي تجاهله فالإمام النسفي يعتمد كثيرا على تفسير الزمخشري، وهو أصل له فيما فسر فكان يختصر عبارته أو ينقلها كما هي لكن الذي لا ينبغي إنكاره أيضا أن الإمام النسفي تميز في أشياء، وأضاف أشياء نبهت عليها في المحاسن، وكان للإمام النسفي أسلوبه الذي يجعله صاحب تفسير مستقل لا أنه اختصار لتفسير الكشاف.

٢- **تصرفه-أحيانا- في عبارة الإمام الزمخشري** أو اختصاره لها مع أن عبارة الزمخشري أدق وأسلم

كان الإمام النسفي دقيقا فيما يختصره أوينقله من الإمام الزمخشري لكن وقع له في بعض الأحيان ما يخالف ذلك، فمثلا: ذكر الزمخشري قولا بصيغة التمريض"وقيل" فذكره النسفي قولا مساويا للقول الراجح، ولو أبقى على عبارة الزمخشري كان أولى.

وهذا وقع في تفسير البرد بالنوم في قوله تعالى:﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[النبأ:٢٤] حيث أورده الزمخشري بصيغة التمريض ولم يتابعه البيضاوي ولا النسفي في ذلك وطريقة النسفي في هذا أدق (١).

وأحيانا يختصر الكلام فلا يكون وافيا بالغرض، كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[النبأ: ٥] :"وكرر الردع للتشديد" وعبارة الزمخشري أدق حين قال:"وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك"؛ وذلك لأن التكرير وقع للردع وذلك

(١) ينظر: التعليق(٢)صـ٧٠

بكلمة"كلا"، وللوعيد بكلمة"سيعلمون"[1].

٣- **متابعته للإمام الزمخشري والبيضاوي** فيما ذهبا إليه وإن كان قولا مرجوحا أو كان ما أهملا ذكره من أقوال له وجاهته وقوته [2]، كنوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ:٣٠] ، والقول بالالتفات في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾[النبأ:٢٥] [3]

٤- **وقوع وهم أو سبق قلم** في دعوى قراءة من القراءة ، وهذا وقع منه إذ ذكر أن"عنْ ما" هكذا قرئ بها وليس كذلك[4]

٥- **فوات التنبيه** على قراءة متواترة مع الإقرار بأنه ذو عناية بذكرالقراءات السبع والإلمام بأوجه الاختلاف فيها ، والذي فاته من الفرش في القراءات السبع قراءة من قرأ بجر"رب"، ورفع "الرحمن في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [سورة النبأ:٣٧][5].

(١) ينظر: التعليق (٣) صـ٢١، وينظر أيضا: التعليق (١) صـ٣٩ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [سورة النبأ:١٤] ينظر

(٢) ينظر: التعليق (٣) صـ٢١، وينظر أيضا: التعليق (١) صـ٣٩ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [سورة النبأ:١٤] ينظر

(٣) ينظر: التعليق (٢) صـ٦٨، والتعليق (١) صـ٨٣

(٤) ينظر: التعليق رقم (٢) صـ٨

(٥) ينظر: التعليق رقم (٢) صـ٩٦،

الخـــــــاتمة

في نهاية هذا البحث وبعد التعليقات على تفسير سورة النبأ للإمام النسفي وإبراز القيمة العلمية لهذا التفسير يمكن أن أسجل أهم ما أسفر عنه هذا البحث

أولًا: أن تفسير الإمام لهذه السورة اتسم بدقة العبارة -غالبا-مع وجازة اللفظ، وأنه متأثر في ذلك كثيرا بالإمام الزمخشري ثم بالإمام البيضاوي.

ثانيًا: تحري الإمام النسفي فيما ينقله عن الإمامين الزمخشري والبيضاوي، فلم يكن ممن ينقل بلا تمحيص بل كانت له اختيارات، وتهذيب، وطريقة تميزه.

ثالثًا: في تفسير الإمام النسفي لهذه السور محاسن ومزايا وهي الغالبة، وأمور تؤخذ عليه وقد بينتها في القيمة العلمية لهذا التفسير

رابعا: لا تصح دعوى أن تفسير الإمام النسفي اختصار لتفسير الزمخشري بالمعنى التام، وليس كل ما في تفسير النسفي موجودا في تفسير الكشاف، وكذا العكس .

أ- أما عن الكشاف للزمخشري فليس لأنه أصل لتفسير النسفي فحسب وإنما لأن فيه أقوالا وأوجها غض الإمام النسفي الطرف عنها، وربما أتى بغيرها.

ب- وأما عن مدارك التنزيل للإمام النسفي ففيه بعض الإضافات على ما في تفسير الكشاف واختلافات في بعض الآراء لكنها - والحق أقول - قليلة.

وبناء على ذلك فكل منهما تفسير مستقل برأسه فمن لم يأمن على نفسه من اعتزاليات الكشاف، ولم يكن لها مميزًا - ولو بواسطة - فحسبه

تفسير الإمام النسفي فإنه تجنب ذلك في تفسيره، وأتى على جُلِّ ما في الكشاف.

وأما من قدر على التمييز وكانت له دراية بذلك فلا يحرم نفسه من الانتفاع بالكتابين، ولا يكتفي بأحدهما عن الآخر ففي كلٍّ نفع.

وقديما قال ابن جزي الكلبي المالكي في مقدمة تفسيره التسهيل (١/ ٢١) عن تفسير الإمام الزمخشري: "ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري فمسَدَّد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان. إلّا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم. وحمل آيات القرآن على طريقتهم. فتكدر صفوه. وتمرّر حلوه. فخذ منه ما صفا ودع ما كدر".

خامسا: لا يزال تفسير الإمام النسفي بحاجة إلى تعليق يليق بالكتاب وصاحبه، ويبرز مواضع الاتفاق والاختلاف بينه وبين الإمامين الزمخشري والبيضاوي، وهذا من التوصيات التي أسفر عنها البحث، وأضيف هنا أن الوقف عند الإمام النسفي يمكن أن تفرد له دراسة.

وأسأل الله أن أكون قد وُفِّقْت فيما قصدت وكتبت، وأن يكتب لي المثوبة، وأن يحظى هذا العمل بالرضا والقبول مع اعترافي بالعجز والتقصير وأسأله سبحانه أن يغفر لي ولوالدي ولأشياخي ولعموم المسلمين.

والحمد لله أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن [الدراسات القرآنية]

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ت٩٨٢هـ، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢- أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي. دار الفكر - بيروت - لبنان. ١٤١٥هـ = ١٩٩٥ م.

٣- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

٤- الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل. محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي ت ١٣٣٣هـ. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥- آل حم غافر - فصلت دراسة في أسرار البيان أ. د/ محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة الطبعة الثانية.

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام عبد الله بن عمر البيضاوي - المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٧- إيضاح الوقف والابتداء لأبي البركات محمد بن القاسم الأنباري (المتوفى ٣٢٨ هـ). الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق١٣٩٠هـ = ١٩٧١م.

٨- بحر العلوم (تفسير السمرقندي) لأبي الليث السمرقندي - دار الكتب العلمية.

٩- البحر المحيط في التفسير - المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ). المحقق: صدقي محمد جميل - الناشر: دار الفكر – بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي(المتوفى(٨١٧هـ) - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١١- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت٦١٦هـ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٢- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) - الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس - سنة ١٩٨٤ هـ.

١٣- التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأحمد بن عمار المهدوي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر - الطبعة الأولى.

١٤- التحقيق في كلمات القرآن لحسن المصطفوي - مركز آثار المصطفوي

١٥- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ت٧٤١هـ. دار الأرقم بن الأرقم - الطبعة الأولى.

١٦- تفسير ابن أبي حاتم – مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

١٧- التفسير البسيط للواحدي - عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
١٨- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم أ.د عبد العظيم المطعني - مكتبة وهبة].
١٩- تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي - دار الحديث - ط: الأولى.
٢٠- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ت ٤٨٩ هـ ، دار الوطن - الرياض - السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
٢١- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - القاهرة.
٢٢- التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري. تحقيق: غلام نبي التونسي - مكتبة الرشدية - الباكستان - الطبعة: ١٤١٢ هـ.
٢٣- التفسير الوسيط للواحدي. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م.
٢٤- تفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ
٢٥- تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠ م.
٢٦- جامع البيان (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير الطبري(المتوفى ٣١٠هـ) - دار هجر، ط١: ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
٢٧- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ت ٦٧١هـ ،ط. دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٢٨- الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي - دار الرشيد - دمشق - الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.
٢٩- حاشية الجمل على الجلالين (الفتوحات الإلهية). الشيخ/ سليمان العجيلي. ط دار المنار طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣٠- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي). لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) - دار النشر: دار صادر - بيروت.
٣١- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي لإسماعيل بن محمد الحنفي ومعه حاشية ابن التمجيد لمصلح الدين الحنفي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٣٢- حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي - دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ت٧٥٦هـ تحقيق د. أحمد الخراط - دار القلم - دمشق.
٣٤- روح البيان للشيخ إسماعيل حقي - دار الفكر - بيروت.
٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) - المحقق: علي عبد الباري عطية - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٣٦- زاد المسير لابن الجوزي - المحقق: عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٧- السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ت٣٢٤هـ ،ط. دار المعارف – مصر - الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.
٣٨- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م.
٣٩- غرائب التفسير وعجائب التأويل المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) - دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٤٠- غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالي المرتضى) - المؤلف: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦ هـ) - المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية - الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م.
٤١- فتح القدير - المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) - الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
٤٢- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب – المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم - الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م.
٤٣- الفرائد الحسان في عد آى القرآن - المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) - الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة - الطبعة: الأولى ١٤٠٤ هـ.

٤٤- القطع والائتناف - لأبي جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس - تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي - دار عالم الكتب - المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م.
٤٥- الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ ،ط.دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٤٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ت ٤٢٧ هـ. دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ = ٢٠٠٢ م.
٤٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الطبعة: ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
٤٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢ هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١: ١٤٢٢ هـ.
٤٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي– دار الكلم الطيب، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.
٥٠- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة د. زغلول النجار - دار المعرفة.
٥١- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ). تحقيق: د حاتم الضامن. دار الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
٥٢- معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ عبد الرحمن حبنكة - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى.

٥٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الرابعة ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م.

٥٤- معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء (المتوفى٢٠٧هـ) - دار المصرية - مصر - الطبعة الأولى.

٥٥- معاني القرآن وإعرابه - المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) - المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت ،ط١: ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

٥٦- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم – أ.د محمد حسن جبل - مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠١٠م.

٥٧- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم د. محمد داود - دار غريب

٥٨- مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي– دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط: ٣.

٥٩- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ ،ط.دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٦٠- المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم د. زغلول النجار - مكتبة الشروق الدولية - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٦١- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب - أ.د محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة.

٦٢- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا لأحمد بن عبد الكريم الأشموني – دار الحديث – القاهرة، مصر – عام النشر: ٢٠٠٨ م.
٦٣- النشر في القراءات العشر لشمس الدين ابن الجزري ت ٨٣٣ هـ ،ط. المطبعة التجارية الكبرى – تحقيق علي محمد الضباع.
٦٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي – دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٦٥- النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن وإعرابه دراسة وتحقيق: د/ عبد الله عبد القادر الطويل – دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.
٦٦- النكت والعيون للماوردي ت ٤٥٠هـ ،ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٦٧- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري للشيخ عبد الفتاح المرصفي – مكتبة طيبة، المدينة المنورة – الطبعة: الثانية
٦٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي – دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ثالثًا: كتب الحديث وعلومه.

١- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب لمحمد بن محمد درويش، الحوت الشافعي (المتوفى: ١٢٧٧هـ ، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا،ط١:دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧م.
٢- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للإمام الزيلعي، ط١ :دار ابن خزيمة – الرياض – ١٤١٤هـ .

٣- ذيل اللاليء المصنوعة لجلال الدين لسيوطي - مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م.
٤- سنن أبي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث(ت٢٧٥هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.
٥- سنن الترمذي - لمحمد بن عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ) - ط:مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ط٢: ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.
٦- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ^ وسننه وأيامه) لمحمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ ، ط١ : دار طوق النجاة : ١٤٢٢هـ.
٧- صحيح مسلم. لمسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨- طبقات المدلسين للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ،ط.مكتبة المنار – عمان،ط١: ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
١٠- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي للإمام شمس الدين السخاوي ت٩٠٢هـ، ط. مكتبة السنة – مصر:١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
١١- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢- مسند الإمام الشافعي بترتيب السندي لمحمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ). دار الكتب العلمية، بيروت : ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م.
١٣- المعجم الكبير للإمام الطبراني ت٣٦٠هـ ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية – الطبعة الثانية.
١٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية١٣٩٢هـ.
١٥- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير – المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي.

رابعًا: كتب اللغة وعلومها

١- أساس البلاغة للزمخشري ت ٥٣٨هـ. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م.
٢- الأصول في النحو لابن السراج – مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت.
٣- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم المؤلف: إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٤- ألفية ابن مالك (الخلاصة) لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ) : دار التعاون.

٥- الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني ت٧٣٩هـ = المحقق محمد عبد المنعم الخفاجي، ط٣: دار الجيل، بيروت.
٦- بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ت: ١٣٩١هـ- الناشر: مكتبة الآدابط١٧: ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
٧- تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي ت١٢٠٥هـ، دار الهداية.
٨- تهذيب اللغة للأزهري.ط١: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٠٠١ م.
٩- التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح لابن مالك الطائي، تحقيق:د. طَه مُحسِن ، ط١: مكتبة ابن تيمية : ١٤٠٥ هـ.
١٠- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني - مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة - الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
١٦- ديوان حسان بن ثابت - تحقيق الأستاذ عبدأ. علي مَهنّا - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية - ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
١٧- ديوان المتنبي- لأحمد بن حسين المتنبي دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٨- ديوان الهذليين - الشعراء الهذليون - ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي - الدار القومية للطباعة، القاهرة.
١٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار التراث - القاهرة - الطبعة العشرون١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٢٠- شرح التسهيل لابن مالك ت ٦٧٢هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د.محمد بدوي المختون،ط١ :دار هجر١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.
٢١- شرح كتاب الحدود في النحو - لعبد الله بن أحمد الفاكهي ت٩٧٢هـ ، تحقيق: المتولي رمضان الدميري. مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م.
٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد لجوهري ت٣٩٣هـ، دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الرابعة
٢٣- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ط٣: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م.
٢٤- الغيث المسجم في شرح لامية العجم للشيخ صلاح الدين خليل بن أَبْيك الصفدي ت٧٦٤ هـ ، ط. دار الكتب العلمية.
٢٥- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٢٦- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي ت٨١٧هـ ،ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م.
٢٧- لسان العرب لابن منظور، ط٣: دار صادر بيروت : ١٤١٤هـ.
٢٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي. دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٩- معاني الأبنية في العربية أ.د فاضل السامرائي - دار عمار.
٣٠- النحو الوافي تأليف: د. عباس حسن، ط١٥ : دار المعارف .

٣١- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ت٩١١هـ ، ط. المكتبة التوفيقية – مصر.

خامسًا : كتب السير والتراجم والرجال :

١- الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم ت٣٢٧هـ – دار إحياء التراث العربي - الطبعة: الأولى، ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م.

٢- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر - لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت: ٩٠٢هـ ، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد – ط - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م.

٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد/ الهند - الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

٤- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ت ٧٤٨هـ ، ط. دار الرسالة - الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٥- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري٨٣٣هـ، ط.مكتبة ابن تيمية.

٦- الكاشف لشمس الدين الذهبي ت ٧٤٨ هـ. دار القبلة للثقافة الإسلامية - الطبعة الأولى - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢ م.

٧- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٤٨٩
المقدمة	٤٩٣
التعريف بالسورة الكريمة	٥٠٠
النبأ العظيم واختلاف الناس فيه	٥٠١
من عجائب صنع الله الدالة علىٰ كمال قدرته تعالىٰ	٥١٤
من أوصاف يوم القيامة وأماراته	٥٤٠
حال الأشقياء في الآخرة	٥٤٨
حال السعداء في الآخرة	٥٧٢
عظمة الله تعالىٰ ونفوذ قدرته وتحذير العباد من عذابه	٥٨٨
القيمة العلمية لتفسير الإمام النسفي لسورة النبأ	٦٠٠
الخاتمة	٦٠٧
المصادر	٦٠٩
فهرس الموضوعات	٦٢٢